الكنوز في قصة العجوز

قصة عجوز بني إسرائيل



اسم الكتاب: الكنوز في قصة العجوز (قصة عجوز بني إسرائيل) .
المؤلف: عدنان بن عبده بن أحمد المقطري .
رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٣٥٤٢.
نوع الطباعة: ٢لون.
عدد الصفحات: ١٦٠ .
القياس: ١٧×٢٤ .

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف: عادل المسلماني .

طبعة جديدة منقحة ومزيدة
٢٠١٠

الإدارة
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات
دار القمة
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان فرع النزهة
أمام كوبري النزهة القديم - النزهة - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٣٨١٦٠٤٢

فرع القاهرة
العربية للتوزيع خلف الجامع الأزهر
درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - القاهرة .
تليفون: ٢٥١٢٠٦٢١

E-mail
dar_aleman@hotmail.com

الكنوز في قصة العجوز

قصة عجوز بني إسرائيل

كتبه

أبو مالك

عدنان بن عبده بن أحمد المقطري

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ٥٤٥٧٧٦٩

دار القمة
تلفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥١٢٢٢٠٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (يوسف:١١١).

قال المفسرون: في قصص الأمم الماضية عبرة وعظة،وفائدة وتذكرة، لذوي الألباب، والعقول النيرة، ولذلك خاطب الله نبيه في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف :١٧٦).

فالغاية من ذكر أخبار من مضى ، ليست للتفكه، أو التسلية والتندر ، وإنما الهدف الأسمى والمقصد الأعلى ، هو التفكر فيما أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم ، أو رسوله - ﷺ - في سُنته المطهرة .

والقصص التي وردت في الكتاب والسُنَّة كثيرة، وعلى أقسام عدة فمنها: قصص الأنبياء والمرسلين مع قومهم ، أو مع الحيوانات والطيور كخبر سليمان مع الهدهد ، والصالحين في الأمم السابقة كمؤمن آل فرعون ، ومنها: كذلك ماحدث للنبي - ﷺ - في سيرته النبوية،ومسيرته الدعوية ، وذلك كثير جداً، استقصته كتب السير والتواريخ.

إن من تلك الأخبار ، التي صحت عن المصطفى المختار- ﷺ - قصة حكاها النبي - ﷺ - لأصحابه الأخيار،للعظة والاعتبار ،حدثت لنبي الله موسى - عليه الصلاة والسلام- فلم تكن أحداثها مع الطاغية فرعون ، أو قومه المتعنتين، وإنما هي قصة عجوز مؤمنة ، حُق للبشرية أن تفخر بها، وتكون من تيجان رؤوسها ، عجوز عجز كثير من الرجال أن يشابهها أويدانيها، وعجزت أكثر نساء زماننا من فتيات الموضات، عن التشبه بتلك العجوز في

الوقت الذي يتشبهن فيه بفاجرات العرب والعجم ، ومادام أن الحال كذلك - إلا عند من رحم الله وكثير ماهن- أحببت طرق هذه القصة ، واستخلاص الفؤاد والعبر التي نحتاج إليها جميعا من رجال ونساء ، لاسيما وأني لم أجد من كتب في هذا الباب ، أوألف في استخراج فوائدها، وسميتها : (**الكنوز في قصة العجوز**) أو (**قصة عجوز بني إسرائيل**) ، سائلاً المولى -عزوجل-أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وينفعنا به : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (**الشعراء : ٨٨-٨٩**) .

وكتبه أبو مالك

عدنان بن عبده بن أحمد

ابن سعيد بن علي المقطري

اليمن - تعز

٢٠/جمادى الأولى /١٤٣٠هـ



حدثوا عن بني إسرائيل

جاء في الأدب لابن أبي شيبة، عن جابر- رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله ﷺ : (**حدثوا عن بني إسرائيل ، فإنه كانت منهم عجائب الأعاجيب**) .

وفي المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني عن رسول الله ﷺ قال: (**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، فإنه كان فيهم الأعاجيب**) [١].

وأصل الحديث في البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال: (**بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**) [٢].

قال الإمام ابن كثير في (التفسير: ١/٥):

(الأحاديث الإسرائيلية على ثلاثة أقسام:

أحدها: ماعلمنا صحته مما بأيدينا مما يُشهد له بالصدق فذاك صحيح [٣].

والثاني :ماعلمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه .

والثالث :ماهو مسكوت عنه لامن هذا القبيل ، ولامن هذا القبيل فلا نؤمن به ولانكذبه ، ويجوز حكايته لما تقدم [٤] وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني)أ.هـ

(١) باب ما جاء في عدم الحرج في الحديث عن بني إسرائيل حديث:٢٠٦، -وفي المطالب العالية - كتاب الجنائز- باب أحوال المحتضر - حديث:٨١٤ وذكره شيخنا العلامة المحدث أبو إسحاق الحويني -حفظه الله تعالى - في بعض أشرطته

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء -باب ماذكر عن بني إسرائيل حديث: ٣٤٦١.

(٣) كقصتنا هذه

(٤) يعني الحديث المتقدم: (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)

نص الحديث في قصة العجوز

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -، أن رسول الله - ﷺ - نزل بأعرابي فأكرمه، فقال له : « يا أعرابي سل حاجتك » قال : يا رسول الله ، ناقة برحلها، وأعنز يحلبها أهلي . قالها مرتين ، فقال له رسول الله - ﷺ - : **أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل ؟** فقال أصحابه : يا رسول الله ، وما عجوز بني إسرائيل؟ قال : « **إن موسى أراد أن يسير ببني إسرائيل فأضل عن الطريق ، فقال له علماء بني إسرائيل : نحن نحدثك أن يوسف أخذ علينا مواثيق الله أن لا نخرج من مصر، حتى ننقل عظامه معنا ، قال : وأيكم يدري أين قبر يوسف ؟ قالوا : ما تدري أين قبر يوسف إلا عجوز بني إسرائيل ، فأرسل إليها ، فقال: دليني على قبر يوسف ، فقالت: لا والله لا أفعل حتى أكون معك في الجنة ، قال:** « وكره رسول الله- ﷺ - **ما قالت ، فقيل له: أعطها حكمها فأعطاها حكمها فأتت بحيرة ، فقالت : أنضبوا هذا الماء . فلما نضبوه قالت : احفروا هاهنا ، فلما حفروا إذا عظام يوسف ، فلما أقلوها من الأرض ، فإذا الطريق مثل ضوء النهار** ».

رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين - كتاب التفسير- تفسير سورة الشعراء - حديث :٣٤٥٨ورواه أيضاً في كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين - ذكر يوسف بن يعقوب - صلوات الله عليهما - حديث :٤٠٢٦ ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث :٧٠٩٣.

روايات أخرى للحديث

جاء في المطالب العالية لابن حجر - كتاب أحاديث الأنبياء - باب يعقوب ويوسف - حديث:(٣٥٣٠) قال أبو يعلى ثم ساق الحديث بسنده وفيه :(أن موسى لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق، فقال: ما هذا ؟).

وفي مسند أبي يعلى - حديث أبي موسى الأشعري - حديث :٧٠٩٣) .

عن أبي موسى قال : أتى النبيُ - ﷺ - أعرابيًا فأكرمه ، فقال له : « ائتنا »، فأتاه ، فقال رسول الله - ﷺ -: « سل حاجتك ...».

وهو كذلك عند ابن حبان بزيادة الإتيان إلى النبي - ﷺ - وعندهما - أبي يعلى وابن حبان - :« فأوحى الله أن أعطها حكمها » .

ونقل ابن كثير في التفسير (٨٤٣/٣): عن ابن أبي حاتم بسنده عن أبي موسى وفيه «قال له علماء بني إسرائيل: نحن نحّدثك أن يوسف -عليه السلام- لما حضره الموت أخذ علينا موثقًا من الله ألا نخرج من مصر حتى ننقل تابوته معنا» ثم ساق بقية الحديث .

وقال عنه ابن كثير :«وهذا حديث غريب جداً والأقرب أنه موقوف والله أعلم ».

وفي تفسير القرطبي :«أن اسم العجوز مريم بنت ذا موسى » (٧/ ٣٩٥).

قال العلامة الألباني - رحمه الله تعالى - بعد ذكره لهذا الحديث برقم :٣١٣ في السلسلة الصحيحة :« أخرجه أبو يعلى في "مسنده" (٣٤٤/ ١) والحاكم (٢ / ٤٠٤ - ٤٠٥ ، ٥٧١ -٥٢٧).

من ثلاث طرق عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى قال: " أتى النبي - ﷺ - أعرابيا فأكرمه فقال له : ائتنا ، فأتاه ، فقال رسول الله - ﷺ -: « سل حاجتك» ، و في رواية : نزل رسول الله - ﷺ - بأعرابي فأكرمه، فقال له رسول الله - ﷺ - : «تعهدنا ائتنا »، فأتاه الأعرابي فقال له رسول الله - ﷺ - : « سل حاجتك» ، فقال : ناقة برحلها و أعنزا يحلبها أهلي ، فقال رسول الله - ﷺ - ... " فذكره .

والسياق لأبي يعلى ، والزيادات مع الرواية الأخرى للحاكم ، و قال : "صحيح على شرط الشيخين ، و قد حكم أحمد و ابن معين أن يونس سمع من أبي بردة حديث « لا نكاح إلا بولي » " و وافقه الذهبي .

و أقول(الألباني) : إنما هو على شرط مسلم وحده ، فإن يونس لم يخرج له البخاري في« صحيحه » ، و إنما في « جزء القراءة ».



خبر العجوز في التوراة

ليس في التوراة قصة عجوز بني إسرائيل ، وقد ذكر في سفر التكوين، الإصحاح: ٥٠ فقرة :٢٥ أخذ يوسف على بني إسرائيل العهد بإخراج عظامه معهم عندما يخرجون من أرض مصر، ونص فيها :(استحلف بني إسرائيل قائلاً :الله سيفتقدكم، فتصعدون بعظامي من هنا) وجاء في سفر الخروج ، الإصحاح :١٣. فقرة ١٩ الإخبار بأخذ موسى عظام يوسف معه عند خروجه من مصر ، لأنه استخلف بني إسرائيل قائلاً: إن الله سينقذكم ، فتصعدون عظامي من هنا معكم).

وقد ذكرت التوراة ضياع بني إسرائيل أثناء خروجهم من مصر، غيرأنها لم تعزه إلى عدم أخذ بني إسرائيل عظام يوسف معهم كما بينه الحديث ، وإنما جعلت السبب هو الخوف من رجوع بني إسرائيل إلى أرض مصر إن قامت حرب مع جند فرعون (سفر الخروج، الإصحاح : ٣١فقرة :٧١).

وأما الإنارة التي وقعت لهم كما يفهم منه في التوراة، والصواب ماذكره الحديث أن الإنارة وقعت بعد حملهم عظامه مباشرة، فرأوا طريقهم ، واهتدوا إلى المسار الصحيح في خروجهم[1].

---

(١)راجع صحيح القصص النبوي للأشقر .

ترجمة أبي موسى الأشعري ﵁
(راوي الحديث)

هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب التميمي الأشعري .

قال عنه الذهبي :« الإمام الكبير، صاحب رسول الله - ﷺ -، الفقيه المقرئ» (السير :٢/ ٣٨٠).

صفته :

قال ابن بريدة : كان أبو موسى أثط قصيراً خفيف اللحم - ﵁ - وقال حسين المعلم : سمعت ابن بريدة يقول : كان الأشعري قصيراً، أثط [١] ، خفيف الجسم.

إسلامه:

قال ابن سعد: حدثنا الهيثم بن عدي، قال: أسلم أبو موسى بمكة، وهاجر إلى الحبشة ، وأول مشاهده خيبر (سير أعلام النبلاء - ٢ / ٣٨٢).

وقال أبو أحمد الحاكم : أسلم بمكة، ثم قدم مع أهل السفينتين بعد فتح خيبر بثلاث..».

من فضائله - ﵁ - :

١ -في الصحيحين عن أبي بردة بن أبي موسى،عن أبيه:أن رسول الله - ﷺ - قال :« **اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما**» [٢].

---

(١) الأثط:هو قليل شعر اللحية .

(٢) رواه البخاري في المغازي - باب غزوة أوطاس (٤٣٢٣) ومسلم في الفضائل - باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين - رضي الله عنهما - حديث (٢٤٩٨).

٢- عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : كنت عند النبي - ﷺ - وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ، ومعه بلال ، فأتى رسول الله - ﷺ - ، رجل أعرابي ، فقال : ألا تنجز لي ، يا محمد ما وعدتني ؟ فقال له رسول الله - ﷺ - «أبشر» فقال له الأعرابي : أكثرت علي من « أبشر » فأقبل رسول الله - ﷺ - على أبي موسى وبلال ، كهيئة الغضبان ، فقال : « إن هذا قد رد البشرى، فاقبلا أنتما » فقالا : قبلنا يا رسول الله ، ثم دعا رسول الله - ﷺ - بقدح فيه ماء ، فغسل يديه ووجهه فيه ، ومج فيه ، ثم قال : « اشربا منه ، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما ، وأبشرا » فأخذا القدح ، ففعلا ما أمرهما به رسول الله - ﷺ - ، فنادتهما أم سلمة من وراء الستر : أفضلا لأمكما مما في إنائكما فأفضلا لها منه طائفة» [١].

قال النووي (شرح مسلم :٦١/ ٧٥): « وفي الحديث الأول فضيلة ظاهرة لأبي موسى ، وبلال ، وأم سلمة » - رضي الله عنهم -.

٣- عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - لأبي موسى : « لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة ، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود» [٢] .

٤- وهو ممن بعثه [٣] النبي - ﷺ - إلى اليمن واستعمله هو ومعاذًا ، على زبيد وعدن .

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي- باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان حديث (٤٣٢٨)ومسلم كتاب الفضائل - باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر - رضي الله عنهما - حديث(٢٤٩٧).

(٢) رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين - باب استحسان تحسين الصوت بالقرآن - حديث (٧٩٣).

(٣) وقد بعث النبي - ﷺ - إلى اليمن معاذاً، وأبا موسى، وعلياً، وجرير البجلي ،وخالد بن الوليد. أما معاذ وأبو موسى فثبت في الصحيحين كما هو مثبت هنا، وبعث علي وخالد بوب عليه البخاري - باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد- رضي الله عنهما - إلى اليمن قبل حجة الوداع - ثم ذكر عدداً من الأحاديث في ذلك راجع كتاب المغازي الباب المتقدم من صحيح البخاري .

ففي الصحيحين عن أبي موسى - رضي الله عنه -أن النبي - ﷺ - بعث معاذاً ، وأبا موسى إلى اليمن،فقال:« **يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا**» (١).

٥- عن أبي بردة - عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي، ونحن ثلاثة أخوة : أنا، وأبو رهم، وأبو عامر .

فأخرجنا سفينتنا إلى النجاشي ، وعنده جعفر ، وأصحابه، فأقبلنا حين فتحت خيبر، فقال رسول الله - ﷺ - :«**لكم الهجرة مرتين : هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إلي**» رواه البخاري ومسلم (٢).

٦-عن عياض الأشعري - رضي الله عنه - قال لما نزلت : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٤٥] . قال رسول الله - ﷺ -: « **هم قومك يا أبا موسى، وأومأ إليه** » (٣).

قال الإمام القرطبي (٤/ ٣٤١): « قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ في موضع النعت.

قال الحسن وقتادة وغيرهما: نزلت في أبي بكر الصديق وأصحابه.

وقال السدي: نزلت في الأنصار.

وقيل: هي إشارة إلى قوم لم يكونوا موجودين في ذلك الوقت، وأن أبا بكر قاتل أهل الردة بقوم لم يكونوا وقت نزول الآية، وهم أحياء من اليمن من كندة وبجيلة، ومن أشجع وقيل: إنها نزلت في الأشعريين، ففي الخبر أنها لما

---

(١) أخرجه البخاري - كتاب المغازي - باب بعثة أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع - حديث : (٤٣٤١، ٤٣٤٢) ومسلم - كتاب الجهاد - باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير.

(٢) أخرجه البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة خيبر حديث (٤٢٣٠، ٤٢٣١) ومسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل جعفر بن أبي طالب ، وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم - رضي الله عنهم - حديث (٢٥٠٢).

(٣) قال شعيب الأرناؤوط :«رجاله ثقات ، وأخرجه ابن سعد (٤/ ١٠٧) وصححه الحاكم (٢/ ٣١٣)،ووافقه الذهبي، وهو في تاريخ ابن عساكر (٤٥٦، ٤٥٧).

نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفائن الأشعريين، وقبائل اليمن من طريق البحر، فكان لهم بلاء في الإسلام في زمن رسول الله - ﷺ - ، وكانت عامة فتوح العراق في زمن عمر - رضي الله عنه - على يدي قبائل اليمن، هذا أصح ما قيل في نزولها والله أعلم» أ.هـ.

٧- عن بريدة قال : خرجتُ ليلة من المسجد، فإذا النبي - ﷺ - عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي، فقال لي : «يا بريدة ، أتراه يُرائي ؟» فقلت : الله ورسوله أعلم . قال :« **بل مؤمن منيب ، لقد أُعطي مزماراً من مزامير آل داود** » فأتيته فإذا هو أبو موسى، (رواه أحمد بن حنبل - حديث:٢٢٣٦٩).

٨- ولقد كان من الأشعريين الذين أحبهم النبي - ﷺ - وقلدهم عدداً من الأوسمة على صدورهم .

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :«يقدم عليكم غداً قوم هم أرق قلوباً للإسلام منكم » فقدم الأشعريون، فلما دنوا جعلوا يرتجزون :

غداً نلقى الأحبة ∴ محمداً وحزبه

فلما أن قدموا تصافحوا، فكانوا أول من أحدث المصافحة »[1] .

٩-وفي صحيح مسلم عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال:قال رسول الله- ﷺ -: « إن الأشعريين إذا أرملوا [2] في الغزو ، أو قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد ، بالسوية ، فهم مني وأنا منهم» [3].

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٢٣،١٥٥)وابن سعد (٤/ ١٠٦) وابن عساكر (٤٥٦)من طرق عن حميد عن أنس وإسناده صحيح قاله الأرناؤوط:(السير ٢/ ٣٨٤حاشية)

(٢) أي فني طعامهم .

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة -حديث:٢٥٠٠ قال النووي : معناه المبالغة في اتِّحاد طَرِيقَتهمَا ، وَاتِّفَاقهمَا فِي طَاعَة اللَّه تَعَالَى.(شرح مسلم ١٦/ ٢٦).

وكان الأشعريون ممن يشغل ليله بالطاعة والقيام ، فعن أبي موسى قال : قال رسول الله- ﷺ -:«إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار »رواه مسلم [(١)].

فصدق الأقوال ، وكريم الفعال، ورقة القلوب ، وخشوعها لعلام الغيوب جعلت النبي – ﷺ – يحبهم ويذكر مناقبهم ، وفضلهم .

أبو موسى القارئ :

لقد كان إذا قرأ القرآن بصوته تشعر وكأن الدنيا كلها تتمايل طرباً بصوته العذب الرخيم ، قال الذهبي(سير أعلام النبلاء ٢/ ١٨٣):« وَهُوَ مَعْدُوْدٌ فِيْمَنْ قَرَأَ عَلَى النَّبِيِّ – ﷺ – أَقْرَأَ أَهْلَ البَصْرَة، وَفَقَّهَهُمْ فِي الدِّيْنِ قَرَأَ عَلَيْهِ: حِطَّانُ بنُ عَبْدِ اللهِ الرَّقَاشِيُّ، وَأَبُو رَجَاءٍ العُطَارِدِيُّ».

وقال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح، استقبل الصفوف رجلاً، رجلاً يقرئهم، ودخل البصرة على جمل أورق، وعليه خرج لما عزل .

وعن أنس – رضي الله عنه – قال : بعثني الأشعري إلى عمر، فقال لي : كيف تركت الأشعري؟ فقلت : تركته يعلم الناس القرآن، فقال : أما إنه كيس ولا تسمعها إياه، وكان عمر إذا جلس عنده أبو موسى، ربما قال له :ذكرنا يا أبا موسى فيقرأ.

وقال ثابت، عن أنس : قدمنا البصرة مع أبي موسى، فقام من الليل يتهجد، فلما أصبح، قيل له . أصلح الله الأمير لو رأيت إلى نسوتك ، وقرابتك وهم يستمعون لقرآنك، فقال : لوعلمت لزينت كتاب الله بصوتي،ولحبرته تحبيراً .

وقال أبو عثمان النهدي: ما سمعت مزماراً ،ولا طنبوراً ،ولا صنجاً أحسن من صوت أبي موسى الأشعري ، إن كان ليصلي بنا فنود أنه قرأ البقرة، من حسن صوته .

---

(١) رواه مسلم – كتاب فضائل الأشعريين – حديث :٢٤٩٩ .

وعن ثابت عن أنس : أن أبا موسى قرأ ليلة، فقمن أزواج النبي- ﷺ - يستمعن لقراءته ، فلما أصبح، أُخبر بذلك، فقال لو علمت، لحبرت تحبيراً ولشوقت تشويقاً.

أبو موسى - رضي الله عنه - العالم القاضي :

وكان أبو موسى - رضي الله عنه - من فقهاء الصحابة وعلمائهم وقضاتهم .

عن أبي إسحاق أنه سمع الأسود بن يزيد يقول : «لم أر بالكوفة أعلم من علي وأبي موسى» .

وقال مسروق : كان القضاء في الصحابة إلى ستة : عمر وعلي، وابن مسعود، وزيد ، وأبي موسى.

وقال الشعبي: يؤخذ العلم من ستة :عمر ، وعبد الله، وزيد، يشبه علمهم بعضه بعضاً، وكان علي، وأبي و أبو موسى يشبه علمهم بعضه بعضاً، يقتبس بعضهم من بعض.

وقال داود عن الشعبي : قضاة الأمة، عمر، وعلي، وزيد وأبي موسى.

وعن صفوان بن سليم قال : لم يكن يفتي في المسجد زمن رسول الله - ﷺ - غير هؤلاء :عمر، وعلي، ومعاذ ، وأبي موسى .

قال أبو صالح السمان: قال علي:يا أبا موسى احكم ولو على حز عنقي.

أبو موسى المجاهد الفاتح:-

في تاريخ« ابن عساكر» (٤١٥):«في سنة ثمان عشرة، فتح أبو موسى الرُها وسميساط وما والاها عنوة.

وقال ابن إسحاق : ساد أبو موسى من نهاوند، ففتح أصبهان سنة ثلاث

وعشرين .

وقال خليفة : ولي أبو موسى البصرة سنة سبع عشرة بعد المغيرة، فلما افتتح الأهواز استخلف عمران بن حصين بالبصرة .

وذكر ابن كثير (٧/ ٤١١): «افتتح قم وفاشان».

موقعة تستر

في تلك الموقعة انسحب الهرمزان بجيشه إليها ، وتحصن بها ،وحشد بها خلقاً كثيراً، فأرسل عمر بن الخطاب، أبا موسى الأشعري -رضي الله عنهما- وأمره بأعداد هائلة من المسلمين، فحاصرهم أشهراً، وكثر القتل من الفريقين، وقتل البراء بن مالك -أخو أنس بن مالك -، يومئذ مائة مبارز سوى من قتل غير ذلك، حتى إذا كان في آخر زحف ، قال المسلمون: للبراء بن مالك - وكان مجاب الدعوة - : يا براء أقسم على ربك ليهزمنهم لنا ، فقال : اللهم اهزمهم لنا، واستشهدني، قال : فهزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم ، واقتحموها عليهم، ولجأ المشركون إلى البلد فتحصنوا به، وقد ضاقت بهم البلد، وطلب رجل من أهل البلد الأمان من أبي موسى فأمنه ، فبعث يدل المسلمين على مكان يدخلون منه إلى البلد، وهو مدخل الماء إليها، فندب الأمراء الناس إلى ذلك ، فأنتدب رجال من الشجعان ، ودخلوا مع الماء إلى البلد، وذلك في الليل وجاءوا إلى البوابين فأناموهم ،وفتحوا الأبواب ، وكبر المسلمون فدخلوا الباب [1].

أبو موسى الزاهد العابد

قال الحسن البصري : ما قدمها - يعني البصر - راكبُ خير لأهلها من أبي موسى.

(١) نقلاً عن أصحاب الرسول - ﷺ - (٢/ ١٦٣- ١٦٤).

وعن أبي بردة بن أبي موسى : سمعت أبي يقسم : ما خرج حين نزع عن البصرة إلا بست مئة درهم عطاءً لعياله .

وعن مسروق قال : خرجنا مع أبي موسى في غزاة، فجئنا الليل في بستان خرب، فقام أبو موسى يصلي، وقرأ قراءة حسنة، وقال :« اللهم أنت المؤمن، وأنت المهيمن تحب المهيمن، وأنت السلام تحب السلام».

وروى صالح بن موسى الطلحي عن أبيه، قال :اجتهد الأشعري قبل موته اجتهاداً شديداً، فقيل له : لو أمسكت ورفقت بنفسك ؟ قال : إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك .

وعن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس :أن أبا موسى كان له سراويل يلبسه مخافة أن يتكشف .

وعن أنس قال :كان أبو موسى إذا نام، لبس تباناً، مخافة أن تنكشف عورته ، وعن أبي عمرو الشيباني، قال : قال أبو موسى :لأن يمتلئ منخري من ريح جيفة أحب إلي من أن يمتلئ من ريح امرأة.

وروى الزبير بن الخريت، عن أبي لبيد، قال : ما كنا نشبه كلام أبي موسى إلا بالجزار الذي ما يخطئ المفصل.

قال الذهبي [سير أعلام النبلاء (٢ / ٦٩٣)] قُلْتُ: قَدْ كَانَ أَبُو مُوْسَى صَوَّاماً، قَوَّاماً، رَبَّانِيّاً، زَاهِداً، عَابِداً، مِمَّنْ جَمَعَ العِلْمَ، وَالعَمَلَ، وَالجِهَادَ، وَسَلاَمَةَ الصَّدْرِ، لَمْ تُغَيِّرْهُ الإِمَارَةُ، وَلاَ اغْتَرَّ بِالدُّنْيَا.

أبو موسى وموقفه من الخلاف الدائر بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما -

تمهيد:

موقف المسلم مما شجر بين الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - :

يجب على كل مسلم أن يحب جميع أصحاب النبي - ﷺ - ويرضى عنهم، ويترحم عليهم، ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم.

والواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - مسلك أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك عما حصل بينهم - رضي الله عنهم - ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم ، وقد بين عدد من العلماء حقيقة هذا الواجب في كلامهم فإليك أقوالهم :

١ - سئل عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - عن القتال الذي حصل بين الصحابة، فقال : تلك دماء طهر الله يدي منها، أفلا أطهر منها لساني، مثل أصحاب النبي - ﷺ - مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها.

قال البيهقي [في مناقب الشافعي ص٦٣] معلقاً : هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب.

٢ - سئل الحسن البصري عن قتال الصحابة فيما بينهم، فقال : قتال شهده أصحاب محمد - ﷺ - وغبنا ، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوقفنا.

٣-وسئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله :

أقول ما قال الله:﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَـٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه:٢٥].

٤- وقيل للإمام أحمد ما تقول بين ما كان بين علي ومعاوية ؟ ، قال : ما أقول فيهم إلا الحسنى .

وعن إبراهيم بن آزر الفقيه قال : حضرتُ أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية، فأعرض عنه، فقيل له : يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم، فأقبل عليه، فقال :اقرأ : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [البقرة : ١٣٤] .

٥- وقال أبو عبد الله بن بطة (الشرح والإبانة :٦٨٢): «ومن بعد نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله - ﷺ - ، فقد شهدوا المشاهد معه ، وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم، وأمرك بالاستغفار لهم، والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك نبيه، وهو يعلم ما سيكون منهم، وأنهم سيقتتلون، وإنما فضلوا على سائر الخلق ، لأن الخطأ والعمد وضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم » .

٦- قال ابن حجر (فتح الباري(٣١/ ٤٣): وَاتَّفَقَ أَهْل السُّنَّة عَلَى وُجُوب مَنْع الطَّعْن عَلَى أَحَد مِنْ الصَّحَابَة بِسَبَبِ مَا وَقَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَوْ عَرَفَ الْمحقّ مِنْهُمْ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي تِلْكَ الْحُرُوب إِلَّا عَنْ اِجْتِهَاد، وَقَدْ عَفَا الله تَعَالَى عَنْ الْمُخْطِئ فِي الِاجْتِهَاد ، بَلْ ثَبَتَ أَنَّهُ يُؤْجَر أَجْرًا وَاحِدًا، وَأَنَّ الْمصيب يُؤْجَر أَجْرَيْنِ.

قلت :فالخوض فيما جرى بين الصحابة مما يجب تركه ، وعدم الخوض فيه ، وبهذا تعرف خطأ بعض الدعاة - أصلحهم الله - ممن يخوضون فيما جرى بين الصحابة، ويقف شارحاً لهذه الفتن، عارضا إياها للقاصي والداني، لمن يفهم ، ولمن لا يفهم، ولمن يحسن ، ولمن لا يحسن.

والأعظم من ذلك أن تُبث عبر أشرطة كاست، وتخرج عن نطاق مسجد معين، لتنشر في العالم بأسره ، نسأل الله الصلاح لنا ولهم ، ووفق الله المسلمين لما فيه الخير .

وإن مما اشتهر على ألسنة الناس، وخاض فيه كثير من الكتاب ، ما جرى بين عمرو بن العاص ، وأبي موسى الأشعري – رضي الله عنهما –، من أمر الخلع لعلي ومعاوية ، وقد ذكر هذه القاصمة ، وفند شبهتها العلامة أبو بكر بن العربي فقال – رحمه الله – (العواصم من القواصم :١٣٦ ، ١٤٠):« وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه ما لا يرضاه الله . وإذا لحظتموه بعين المروءة – دون الديانة – رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين ، وفي الأقل جهل متين .

والذي يصح من ذلك ما روى الأئمة كخليفة بن خياط والدار قطني : أنه لما خرجت الطائفة العراقية مائة ألف ،والشامية في سبعين ، أو تسعين ألفا ، ونزلوا على الفرات بصفين ، اقتتلوا في أول يوم – وهو الثلاثاء – على الماء ، فغلب أهل العراق عليه .

ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة [سبع وثلاثين] ويوم الخميس ، ويوم الجمعة ، وليلة السبت ، ورفعت المصاحف من أهل الشام ، ودعوا إلى الصلح ، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق ، فكان من جهة علي أبو موسى ، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص .

وكان أبو موسى رجلًا تقيًا ، فقيهًا ، عالمًا حسبما بيناه في كتاب (سراج المريدين) ، وأرسله النبي – ﷺ – إلى اليمن مع معاذ ، وقدمه عمرو ، وأثنى عليه بالفهم .

وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ، ضعيف الرأي ، مخدوعًا في القول ، وأن ابن العاص كان ذا دهاءٍ وأرب حتى ضُربت الأمثال بدهائه تأكيدًا لما أرادت من الفساد ، اتبع في ذلك بعض الجهال بعضًا ، وصنفوا فيه حكايات . وغيره من الصحابة كان أحذق منه وأدهى ، وإنما بنوا على أن عمراً لما غدر أبا موسى في قصة التحكيم ، صار له الذكر في الدهاء والمكر .

وقالوا : إنما لما اجتمع بأذرح من دومة الجندل، وتفاوضا ، اتفقا على أن يخلعا الرجلين . فقال عمرو لأبي موسى : اسبق بالقول . فتقدم فقال : إني نظرت فخلعت عليًّا عن الأمر ، وينظر المسلمون لأنفسهم ، كما خلعت سيفي هذا من عنقي - أو من عاتقي - وأخرجه من عنقه فوضعه في الأرض . وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض وقال : إني نظرت فأثبت معاوية في الأمر كما أثبت سيفي هذا في عاتقي . وتقلده . فأنكر أبو موسى . فقال عمرو : كذلك اتفقنا . وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف».

ثم قال القاضي أبو بكر: « هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط . وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة ، ووضعته التاريخية للملوك ، فتوارثه أهل المجانة ، والجهارة بمعاصي الله ، والبدعة»

قلت: وممن روى قصة التحكيم هذه أبو مخنف لوط بن يحيى ، وهو رافضي جلد من غلاتهم ، وممن دس في التاريخ الإسلامي كثيراً من الأكاذيب .



اعتزال الأشعري للفتنة

وكان آخر العهد بأبي موسى عندما كان واليًا على الكوفة ، وجاء دعاة علي - رضي الله عنه - يحرضون الكوفيين على لبس السلاح ، والالتحاق بجيش علي استعدادًا لما يريدونه من قتال مع أصحاب الجمل في البصرة ، ثم مع أنصار معاوية في الشام . فكان أبو موسى يشفق على دماء المسلمين أن تسفك ، ويذكر أمة محمد - ﷺ - بقول نبيهم في الفتنة «**القاعد فيها خير من القائم**» فتركه الأشتر يحدث الناس في المسجد بالحديث النبوي ، وأسرع إلى دار الإمارة فاحتلها . فلما عاد إليها أبو موسى منعه الأشتر من الدخول وقال له : اعتزل إمارتنا . فاعتزلهم أبو موسى ، واختار الإقامة في قرية يقال لها عُرْض بعيدًا عن الفتن، وسفك الدماء . فلما شبع الناس من سفك الدماء ، واقتنعوا بأن أبا موسى كان ناصحًا في نهيهم عن القتال ، طلبوا من علي أن يكون أبو موسى هو ممثل العراق في أمر التحكيم ، لأن الحالة التي كان يدعو إليها هي التي فيها الصلاح فأرسلوا إلى أبي موسى وجاءوا به من عزلته [١].

ولكون أبي موسى ما قاتل مع علي - رضي الله عنه - في صفين،وقعت غلاة الشيعة في بغضه ،والحقد عليه، وشوهوا سيرته من خلال القصص المكذوبة، والروايات المخدوعة، وأنا لهم ذلك في رجل أحبه رسول الله - ﷺ - واستعمله من بعده الصحابة - رضي الله عنهم - .

(١) بنصه من حاشية (العواصم من القواصم)للعلامة محب الدين الخطيب ص١٣٧.

معاني الألفاظ

عجوز: العجز الضعف (مختار الصحيح ١٢٢).

وقال :«والعجوز المرأة الكبيرة، ولا تقل : عجوزة، والعامة تقوله، والجمع عجائز وعُجُزُ ، وفي الحديث :« إن، الجنة لا يدخلها العُجُزُ ».

وفي القاموس(٨٧٤):ولا تقل عجوزة، أو هي لُغيةٌ رديئة.

الأعرابي: واحد الأعراب وهم سكان البادية عرباً كانو ، أو عجماً.

الفتح (١/ ٣٢٣)

وفي مختار الصحاح:(٤٢٢) :والأعـراب منهم سكان البادية خاصة ، والنسبة إليهم أعرابي، وليس الأعراب جمعاً لعرب، بل هو اسم جنس)

قوله : (عظام يوسف).

قال العلامة الألباني - رحمه الله -: (فائدة) كنت استشكلت قديما قوله في هذا الحديث :" عظام يوسف" لأنه يتعارض بظاهره مع الحديث الصحيح : " **إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** " حتى وقفت على حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -." أن النبي ﷺ لما بدن ، قال له تميم الداري : **ألا أتخذ لك منبرًا** يا رسول الله يجمع ، أو يحمل عظامك ؟ قال : **بلى فاتخذ له منبرًا مرقاتين** " .

أخرجه أبو داود (١٠٨١) بإسناد جيد على شرط مسلم .

فعلمت منه أنهم كانوا يطلقون " **العظام** " ، ويريدون **البدن كله** ، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل ،كقوله تعالى ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي:صلاة الفجر .

فزال الإشكال والحمد لله ، فكتبت هذا البيانه)ا.هـ من "**السلسلة الصحيحة**" " ١/ ٥٦٠".

من فوائد قصة عجوز بني إسرائيل

لقد حوت هذه القصة على عدد من الفوائد ، التي تعود على من تدبرها بالخير والنفع .

وحري بالمؤمن أن يقف مع هذا الخبر ، وقفات تأمل، واتعاظ، ولعل فائدة واحدة تكون سبباً في تغير حال المؤمن، وانقلابه على شهواته ، وملذاته ، ومن صدق الله صدقه ، ومن كان مع الله كان الله معه .

وهذا أوان الشروع في المقصود ، والله الموفق فهو الودود .

الفائدة الأولى :- تواضع النبي - ﷺ -:

لقد ضرب النبي - ﷺ - في تواضعه المثل الأعلى،ويتجلى تواضعه - ﷺ - في هذا الخبر،في نزوله عند ذلك الأعرابي،وقبوله بضيافته، فلم يمنعه - ﷺ - ما رزقه الله من العلم ،والنبوة أن يستنكف عن النزول، في بيت الأعرابي ، والذي لم يُعرف بمنصب، أو يُذكر بجاه، حتى اسمه لم يُذكر ، ولو كان من ذوي المناصب ، والجاه ،أو الرئاسة ،والسيادة لذُكر اسمه، وبُين عمله، ومنزلته .

و ثبت في صحيح البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :إن خياطاً دعا رسول الله لطعام صنعه [١].

قال الحافظ ابن حجر : جَوَاز أَكْل الشَّرِيف طَعَام مَنْ دُونه مِنْ مُحْتَرِف ،وَغَيْره، وَإِجَابَة دَعْوَته ، وَمُؤَاكَلَة الْخَادِم ، وَبَيَان مَا كَانَ فِي النَّبِيّ - ﷺ - مِنْ التَّوَاضُع ،

(١) رواه البخاري - كتاب الأطعمة - باب من تتبع حوالي القصعة مع صاحبه إذا لم يعرف منه كراهية- حديث:٥٣٧٩

وَاللُّطْف بِأَصْحَابِهِ ، وَتَعَاهُدهمْ بِالْمَجِيءِ إِلَى مَنَازِلهمْ.

وكان – ﷺ – يجيب دعوة المملوك، فعند الحاكم من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : «كان – ﷺ –يردف خلفه ، ويضع طعامه على الأرض ، ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار » (المستدرك على الصحيحين للحاكم – كتاب الأطعمة – حديث:٧١٩٠).

وعند الطبراني عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال : « كان رسول الله – ﷺ – يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاه ، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير» [١] .

ومن صور تواضعه – ﷺ –أنه كان لا يأنف أن يمشي مع الأرملة ، والمسكين فيقضي لهم حوائجهم.

فعن عبد الله بن أبي أوفى – رضي الله عنه – قال :«كان رسول الله – ﷺ – يكثر الذكر، ويُقل اللغو ، ويُطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة ، والمسكين فيقضي لهم الحاجة » رواه النسائي [٢] وكان – ﷺ – يتفقد مرضى المساكين ، وضعفاء المسلمين ويتبع جنائزهم .

فعند (البيهقي:٦٦١٧)[٣]عن أبي أمامة سهل بن حنيف الأنصاري أن بعض أصحاب النبي – ﷺ –أخبره« أن رسول الله – ﷺ – كان يعود مرضى مساكين المسلمين،وضعفاءهم،ويتبع جنائزهم ،ولا يصلي عليهم أحد غيره – ﷺ –».

وقد كان – ﷺ – في غاية الأخلاق ، والتواضع مع الأطفال فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أنه كان يمشي مع النبي – ﷺ – فمر بصبيان فسلم عليهم[٤].

(١) المعجم الكبير للطبراني – حديث:١٢٢٨٨، وانظر صحيح الجامع (٤٩١٥).
(٢) أخرجه النسائي في سننه برقم :)١٤١٤(وحسنه الألباني .
(٣) وقال الألباني (بإسناد صحيح) أحكام الجنائز ص ٨٩.
(٤) أخرجه البخاري – كتاب السلام – باب استحباب السلام على الصبيان – حديث :٢١٦٨.

وعند النسائي عن أنس بن مالك – ﷺ –كان رسول الله – ﷺ – يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم ، ويمسح رؤوسهم ويدعو لهم »[١] .

وعن محمود بن الربيع – ﷺ – قال :« عقلت من النبي– ﷺ –مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو »[٢].

وكان يعمل مع أصحابه – ﷺ –وينقل التراب فعن البراء بن عازب – ﷺ – قال :« كان النبي– ﷺ – ينقل التراب يوم الخندق حتى أغبر بطنه وهو يقول:

والله لـو لا الله ما اهتدينا .·. فـأنـزلـن سكـينـة علـينـا
إن الأولى قـد بغـوا علينا .·. ولا تـصـدقـنـا ولاصلـينـا
وثـبـت الأقــدام إن لاقينا .·. إذا أرادوا فـتنــة أبينـا[٣]

ولقد كان الصحابة يأتون بصبيانهم إلى رسول الله – ﷺ – وربما بال الصبي على ثوبه – ﷺ – ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن أم قيس بنت محصن الأسرية :« أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام، إلى رسول الله – ﷺ – فأجلسه رسول الله – ﷺ – في حجره، فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه على ثوبه ولم يغسله »[٤].

قال ابن حجر (الفتح ١/٧٢٣): «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ الْفَوَائِدِ : النَّدْبُ إِلَى حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ ، وَالتَّوَاضُع»

وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة – رضي الله عنها – :« أن رسول الله – ﷺ – أتى

(١) صحيح الجامع (٤٩٤٧).
(٢) أخرجه البخاري – كتاب العلم – باب متى يصح سماع الصغير حديث (٧٧).
(٣) خرجه البخاري – كتاب المغازي – باب غزوة الخندق – حديث :٤١٠٤.
(٤) أخرجه البخاري – كتاب الوضوء – باب بول الصبيان حديث :٢٢٣، ومسلم – كتاب الطهارة – باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله حديث :٢٨٧.



بصبي، فبال على ثوبه، فدعا بماءٍ فأتبعه إياه »[١] .

ولم يكن - ﷺ - يتكبر عن خدمة أهله ، ومساعدتهم ، ففي مسند أحمد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: « **كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم** »[٢] .

وفي مسند أحمد أيضاً عن عائشة - رضي الله عنها - أنها سئلت ما كان النبي - ﷺ - يعمل في بيته ؟ قالت :كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه ويحلب شاته، ويخدم نفسه » .

وكان يلاعب أهله ، ويسابقهم ففي سنن أبي داود عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت مع النبي - ﷺ - في سفرة قال : فسابقته فسبقته على رجلي فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال:« هذه بتلك»[٣] .

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: « كان رسول الله - ﷺ - يردف خلفه، ويضع طعامه على الأرض، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار» رواه الحاكم[٤].

وعند ابن عساكر عن أبي أيوب قال : « كان رسول الله - ﷺ - يركب الحمار، ويخصف النعال، ويرقع القميص، ويلبس الصوف ويقول:«من رغب عن سنتي فليس مني »[٥].

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال :«كنت رديف النبي - ﷺ - على حمار،

(١) رواه البخاري - كتب الوضوء - باب بول الصبيان حديث:٢٢٢ ، ومسلم - كتاب الطهارة - باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله حديث :٢٨٦.
(٢) رواه أحمد حديث:٢٤٣٧٦وانظر صحيح الجامع(٤٩٣٧).
(٣) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الجهاد - باب السبق على الرجل :٢٥٧٨ وصححه العلامة الألباني .
(٤) صحيح الجامع(٤٩٤٥).
(٥) صحيح الجامع (٤٩٤٦).

يقال له عفير » [١] .

وقد أردف النبي - ﷺ - عبد الله بن عباس، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن جعفر وغيرهم - رضي الله عنهم -.

ولقد كانت الأمة تأخذ بيده - ﷺ - فتنطلق حيث شأت » رواه البخاري عن أنس - رضي الله عنه -.

وعن أنس - رضي الله عنه - :« أن امرأة جاءت إلى النبي - ﷺ -فقالت له :إن لي إليك حاجة، فقال :«**يا أم فلان، اجلسي في أي طرق المدينة شئت ، أجلس إليك** » رواه مسلم [٢] .

وكما أنه - ﷺ - كان بفعله مدرسة في التواضع، فكذلك كانت أقواله - عليه الصلاة والسلام - .

فقد جاء عند الترمذي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -أن رسول الله- ﷺ - قال:«اللهم أحيني مسكيناً،وأمتني مسكيناً،واحشرني في زمرة المساكين» [٣] قال ابن الأثير:«أراد به التواضع والإخبات، وأن لا يكون من الجبارين المتكبرين» أ.هـ النهاية (٢/ ٥٨٣).

وكان عليه-الصلاة والسلام -يبغض المبالغة في مدحه،وينهى عن إطرائه.

فعند البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : سمعت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول على المنبر :سمعت النبي- ﷺ - يقول :«**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله** » [٤] .

---

(١) أخرجه البخاري - كتاب الجهاد - باب اسم الفرس والحمار، ومسلم - كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من مات على لتوحيد دخل الجنة قطعاً حديث:٣٠ .

(٢)رواه مسلم - كتاب الفضائل -باب قرب النبي - ﷺ - من الناس وتبركهم به - حديث :٢٣٢٦.

(٣) رواه الترمذي - كتاب الزهد - باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون قبل أغنيائهم - حديث:٢٣٥٢.

(٤) أخرجه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله تعالى﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ﴾ حديث :٣٤٤٥.

قال الحافظ ابن حجر الفتح (٦/٤٩٠): الإطراء بالباطل تقول : أطريت فلاناً، مدحته فأطرت في مدحه .

وعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أن رجلاً قال للنبي – ﷺ – :ما شاء الله وشئت، فقال :«**أجعلتني لله نداً ؟: ما شاء الله وحده** » (١).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – :«**ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم** » فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : « **نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**» (٢).

قال ابن حجر :قال سويد أحد رواته : يعني كل شاة بقيراط، يعني القيراط الذي هو جزء من الدينار والدرهم .الفتح (٤/ ١٤٤).

وفي نفس المصدر قال - رحمه الله - :«وفي ذكر النبي – ﷺ – لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله، ما كان عليه من عظيم التواضع لربه، والتصريح بمنته عليه ، وعلى إخوانه من الأنبياء ، وصلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء ».

وعلى كل فقد كان رسول الله– ﷺ –أشد الناس تواضعاً ،وتقصي أخلاقه في التواضع تحتاج إلى مؤلف مستقل،وهو– ﷺ –من امتثل أمر ربه وأطاع خالقه ومولاه في أمره له بلين الجانب، والتواضع للمؤمنين فقال تعالى:﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء : ٥١٢].

الفائدة الثانية : التحلي بكرم الضيافة :

وفي هذا الحديث بيان ما كان عليه الأعرابي من حسن الضيافة ، وإكرام الضيف ، :(ثم نزل النبي – ﷺ – بأعرابي فأكرمه)، وهذه من أخلاق الإسلام

(١) رواه أحمد في مسنده والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٨٨).
(٢) أخرجه البخاري – كتاب الإيجار – باب رعي الغنم على قراريط حديث :٢١٦٢.

التي أمرنا بها، وحث أتباعه عليها .

وإكرام الضيف كان معروفاً عند العرب في الجاهلية ، وهي من الأخلاق التي بقيت لهم من دين إبراهيم - ﷺ - .

وكذلك جاء الإسلام بإقرارها، وتهذيبها، وبين لنا ما يتعلق بآدابها .

وفي القرآن الكريم ذكر الله لنا عن إبراهيم الخليل، كرمه مع الضيف وآداباً في الضيافة .

قال تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات : ٢٤ - ٢٧].

وهؤلاء الضيوف هم ملائكة أرسلهم الله إلى إبراهيم، ثم إلى لوط ـ عليهما السلام ـ وقوله تعالى : ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ أي الذين أكرمهم إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - .

قال مجاهد : سماهم مكرمين لخدمة إبراهيم إياهم بنفسه .

وفيه من الآداب أن تخدم الضيف بنفسك [1]. لا أن تتخدم به، وذكر القرطبي في تفسيره (٩/ ٥٠٣):(قال عبد الوهاب: قال لي علي بن عياض: عندي هريسة ما رأيك فيها ؟ قلت: ما أحسن رأيي فيها، قال: امض بنا، فدخلت الدار فنادى الغلام فإذا هو غائب، فما راعني إلا به ومعه القمقمة ، والطست ، وعلى عاتقه المنديل، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، لو علمت يا أبا الحسن أن الامر هكذا، قال: هون عليك فإنك عندنا مكرم، والمكرم إنما يخدم بالنفس،انظر إلى قوله تعالى:﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

(١) وبوب البخاري في صحيحه - كتاب الآداب - باب إكرام الضيف وخدمته بنفسه،و قوله تعالى: ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ .

قال ابن كثير في تفسيره (٢٥٢/٤) : ﴿ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ أي الذين أرصد لهم الكرامة).

قوله : ﴿ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ جاء بعجل، وهي صغار البقر، لأن لحمه خفيف ولذيذ، وكونه سميناً يكون أحلى للحمه وأطيب، وفي الآية الأخرى جاء بعجل حنيذ، أي محنوذ يعني لم يخرج من طعمه شيء ، وهذا ألذ ما يكون من اللحم [١].

ومن كرم الخليل في تقديمه العجل سميناً، و كان ذلك زيادة في إكرامهم، وتتجلى صورة أخرى من كرمه في تقديم العجل،ما نقله المفسرون من أن الملائكة الذين أتوه بصورة آدمي - كانوا ثلاثة،وتقديم العجل لثلاثة عظيم [٢].

قال الإمام ابن كثير (التفسير ٢٥٢/٤): ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ : تلطف في العبارة وعرض حسن.

وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة؛ فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: "نأتيكم بطعام؟" بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتي سمين مشوي، فقربه إليهم، لم يضعه، وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرا يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل ، وتحسن ، وتتصدق، فافعل.أ.هـ

قال الإمام القرطبي في تفسيره (٤٨٣/٥): في هذه الآية من أدب الضيف أن يعجل قراه، فيقدم الموجود الميسر في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان له جدة، ولا يتكلف ما يضر به ، والضيافة من مكارم الأخلاق، ومن آداب الإسلام، ومن

---

(١) بنصه من كلام العلامة ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - شرح رياض الصالحين (٢/ ١٠١٤)
(٢) راجع تفسير القرطبي (٥/ ٣٨٥)

خلق النبيين ، والصالحين ، وإبراهيم أول من أضاف على ما تقدم في " البقرة .أ.هـ.

وقال (٣٨٥/٥): السنة إذا قُدِّم للضيف الطعام أن يبادر المقدم إليه بالأكل، فإن كرامة الضيف تعجيل التقديم، وكرامة صاحب المنزل المبادرة بالقبول.

وقال (نفس المصدر): من أدب الطعام أن لصاحب الضيف أن ينظر في ضيفه هل يأكل أم لا؟ [1]وذلك ينبغي أن يكون بتلفت، ومسارقة لا بتحديد النظر.

روي أن أعرابيا أكل مع سليمان بن عبد الملك، فرأى سليمان في لقمة الإعرابي شعرة فقال له: أزل الشعرة عن لقمتك، فقال له: أتنظر إلي نظر من يرى الشعرة في لقمتي ؟ ! والله لا أكلت معك.

قلت (القرطبي): وقد ذكر أن هذه الحكاية إنما كانت مع هشام بن عبد الملك لا مع سليمان، وأن الأعرابي خرج من عنده وهو يقول:

وللموت خير من زيارة باخل ∴ يلاحظ أطراف الأكيل على عمد)ا.هـ

إكرام لوط للضيوف :

قال تعالى عن لوط - ﷺ - : ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ [هود : ٨٧].

قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - (شرح رياض الصالحين ١٠١٥/٢): قوله : ﴿ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ﴾ يدل على أن الضيوف كانوا مكرمين عند لوط، كما هم مكرمون عند إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - .أ.هـ

(١) من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾ [هود : ٧٠].

قلت :ولا غرابة، فهذه هي الأخلاق التي أدب الله بها أنبياءه فأحسن تأديبهم - عليهم الصلاة والسلام - .

إكرام الضيف من علامات الإيمان :

جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة -ﷺ- أن رسول الله- ﷺ -قال: « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه** » (١) .

فهذا الحديث نص في أن إكرام الضيف من علامات الإيمان، وأخلاق المؤمنين، وهو من تمام الإيمان بالله واليوم الآخر .

إكرام الضيف من الحقوق التي على المسلم :

إن الحقوق التي أوكلها الشرع إلى المسلم كثيرة ، ومن هذه الحقوق «حق الضيف » ، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو- ﷺ-: أن النبي - ﷺ - قال :«**إن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزورك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً** » (٢).

ومعنى «زورك » ضيفك، قال ابن حجر (الفتح ١٠/ ٣٣٥): (**يقال هؤلاء** زور فلان ، وضيف فلان معناه أضيافه وزواره) ا . هـ .

وفي الصحيحين عن أبي شريح الخزاعي - ﷺ - أن رسول الله - ﷺ - قال :«**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته**»، قالوا : وما جائزته يا رسول الله ؟ قال: «**يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده يُحرجه** » (٣).

---

(١) أخرجه البخاري - كتاب الأدب - باب إكرام الضيف حديث :٣١٣٦ ، ومسلم - كتاب الإيمان - باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن خير وكون ذلك كله من الإيمان حديث :٤٧ .

(٢) أخرجه البخاري - كتاب الأدب - باب حق الضيف - حديث ٦١٣٤.

(٣) أخرجه البخاري - كتاب الأدب - باب إكرام الضيف حديث :٦١٣٥، ومسلم - كتاب الإيمان - باب الحث على إكرام الجار والضيف حديث :٤٨.

وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - أنه قال : قلنا يا رسول الله - إنك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقروننا، فما ترى فيه ؟ فقال لنا رسول الله- ﷺ -: **«إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف، فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم»** رواه البخاري ومسلم [١].

وعند أبي داود عن أبي كريمة- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :**«ليلة الضيف حق على كل مسلم، فمن أصبح بفنائه ، فهو عليه دين، إن شاء قضى، وإن شاء ترك »** [٢] .

مسألة: وقد ذهب الليث إلى وجوب الضيافة ليلة واحدة واحتج بحديث عقبة بن عامر هذا [٣] .

وقد ذهب الإمام أحمد ،وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل [٤].

قال ابن العربي: الضيافة حقيقة فرض على الكفاية، ومن الناس من قال: إنها واجبة في القرى حيث لا طعام ولا مأوى، بخلاف الحواضر فإنها مشحونة بالماواة ، والأقوات، ولا شك أن الضيف كريم، والضيافة كرامة، فإن كان غريبا فهي فريضة [٥].

قال النووي : (شرح مسلم :١٢/٢٧) : وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الضِّيَافَة ، وَأَنَّهَا مِنْ مُتَأَكِّدَات الْإِسْلَام ، ثُمَّ قَالَ الشَّافِعِيّ وَمَالِك وَأَبُو حَنِيفَة - رَحِمَهُمْ الله تَعَالَى - وَالْجُمْهُور : هِيَ سُنَّة لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ ، وَقَالَ اللَّيْث وَأَحْمَد : هِيَ وَاجِبَة

(١) أخرجه البخاري - كتاب الأدب - باب إكرام الضيف حديث :٦١٣٧، ومسلم - كتاب اللقطة - باب الضيافة ونحوها - .

(٢) رواه أبو داود - كتاب الأطعمة - باب ما جاء في الضيافة ، حديث :٣٧٥٠.

(٣) شرح مسلم (١/ ١٦) للإمام النووي

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٢).

(٥) تفسير القرطبي): ٥/ ٣٨٥).

يَوْمًا وَلَيْلَة ، وَقَالَ أَحْمَد - رضي الله عنه - : هِيَ وَاجِبَة يَوْمًا وَلَيْلَة عَلَى أَهْل الْبَادِيَة ، وَأَهْل الْقُرَى دُون أَهْل الْمُدُن ، وَتَأَوَّلَ الْجُمْهُور هَذِهِ الأَحَادِيث وَأَشْبَاههَا عَلَى الاسْتِحْبَاب ، وَمَكَارِم الأَخْلاق ، وَتَأَكُّد حَقّ الضَّيْف.

آداب الضيف :

كما أن للمضيف آداباً يتحلى بها، فكذلك هناك آداب للضيف تجاه مضيفه، ومنها:

١ـ لا ينبغي أن يؤثم أخاه المضيف :

تقدم معنا حديث أبي شريح الخزاعي في الصحيحين وفيه : «**ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه**» هذه رواية البخاري ورواية مسلم :« **ولا يحل لرجل مسلم، أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه** » قالوا يا رسول الله ! وكيف يؤثمه؟ ، قال: «**يقيم عنده، ولا شيء له يقريه به**» .

ألا يؤثمه بأن يقيم عنده إقامة تسبب له الحرج، والضيق، قال الإمام النووي - رحمه الله - (شرح مسلم ٢١/ ٨٢): وَقَوْله - ﷺ -: « **وَلَا يَحِلّ لَهُ أَنْ يُقِيم عِنْده حَتَّى يُؤْثِمهُ**» مَعْنَاهُ : لَا يَحِلّ لِلضَّيْفِ أَنْ يُقِيم عِنْده بَعْد الثَّلَاث حَتَّى يُوقِعهُ فِي الْإِثْم ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَغْتَابهُ طُول مَقَامه ، أَوْ يُعَرِّض بِمَا يُؤْذِيه ، أَوْ يَظُنّ بِهِ مَا لَا يَجُوز ، وَقَدْ قَالَ اللَّه تَعَالَى : ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ ، وَهَذَا كُلّه مَحْمُول عَلَى مَا إِذَا أَقَامَ بَعْد الثَّلَاث مِنْ غَيْر اسْتِدْعَاء مِنْ الْمُضِيف ، أَمَّا إِذَا اسْتَدْعَاهُ ، وَطَلَبَ زِيَادَة إِقَامَته ، أَوْ عَلِمَ ، أَوْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا يُكْرَه إِقَامَته فَلَا بَأْس بِالزِّيَادَةِ ، لِأَنَّ النَّهْي إِنَّمَا كَانَ لِكَوْنِهِ يُؤْثِمهُ ، وَقَدْ زَالَ هَذَا الْمَعْنَى.

٢ـ ألا يتقدم على صاحب البيت بالإمامة إلا بإذنه :

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال :« **لا يؤم الرجل في سلطانه ، ولا يجلس على تكرمته في بيته إلا بإذنه** » رواه مسلم والترمذي .

وفي رواية أبي داود :« **ولا يؤم الرجل في بيته ولا في سلطانه، ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه** » قال شعبة فقلت لإسماعيل : ما تكرمته ؟ قال : فرشه [١].

قال الخطابي:(معناه أن صاحب المنزل أولى بالإمامة في بيته إذا كان من القراءة ، أو العلم بمحل يمكنه أن يقيم الصلاة).

قال النووي : (شرح مسلم ٥/ ١٤٣): ويستحب لصاحب البيت أن يأذن لمن هو أفضل منه) . وفي تقدم الرجل على صاحب البيت بغير إذنه إزراء به فلا ينبغي.

٣ـ عدم الإتلاف لشيء من متاع البيت :

جاء في مسلم وعند الترمذي أن رجلاً نزل بعائشة -رضي الله عنها-، فأمرت له بملحفة صفراء ، فنام فيها ، فاحتلم ، فاستحيا أن يرسل بها، وبها أثر الاحتلام، فغمسها في الماء ، ثم أرسل بها ، فقالت عائشة -رضي الله عنها- :« لما أفسد علينا ثوبنا؟ إنما كان يكفيه أن يفركه بأصابعه ، وربما فركته من ثوب رسول الله - ﷺ - بأصابعي» [٢].

قلت : وعلى المؤمن ألا يكون ضيفاً ثقيلاً، فينبغي له أن يحافظ على ممتلكات من أضافه ، كما يحافظ على ممتلكاته في بيته، وألا يترك المجال لأولاده يعيثون في بيت المضيف، فيكسرون هذا ، ويخرقون هذا فما أن تنتهي ضيافته ، إلا ويحمد الله ـ صاحب المنزل ـ، ويتمنى عدم عودته ثانية ، وذلك لما لاقاه من الأذية .

والبعض الأخر ربما أهلك المضيف ، وكلف عليه إما بالطلبات المعينة ، أو بالاتصال الكثير من هاتف المنزل .

---

(١) أخرجه مسلم- كتاب الصلاة - باب من أحق بالإمامة حديث :٦٧٣ ، والترمذي - كتاب الصلاة - باب من أحق بالإمامة حديث :٢٣٥، وأبو داود - كتاب الصلاة باب من أحق بالإمامة حديث :٥٨٢.

(٢) أخرجه مسلم - كتاب الطهارة - باب حكم المني حديث :٢٨٨، والترمذي - كتاب الطهارة - باب ما في من المني يصيب الثوب ، حديث:١١٦.

ويذكر الشيخ المنجد – وفقه الله –في إحدى أشرطته قال :أحضر لي شخص قبل أيام فاتورة التلفون بمبلغ أربعين ألفاً ـ سعودي، وقال حضرني أقربائي في عيد الأضحى، وبعد أن غادروا ، جاءت الفاتورة بهذا المبلغ كله في المدة التي جلسوا فيها عندي في البيت .

فما هكذا تقابل من أكرمك وضيفك وفتح لك بيته وآواك..

الفائدة الثالثة : رد الجميل والمكافأة على الإحسان .

لما رأى النبي – ﷺ – حسن الضيافة ، وكريم الأخلاق من ذلك الأعرابي تجاههم، أراد أن يرد له جميله ، ويقوم بمكافأته ليجزي الحسنى بالحسنى فقال – ﷺ – :«تعهدنا ائتنا» وعندما جاءه قال له :«سل حاجتك»، وهذا تطبيق عملي منه – ﷺ – لهذا الخلق النبيل .

وقد أرشدنا عليه ـ الصلاة والسلام ـ إلى مكافأة صاحب المعروف، وأن نعرف له فضله، ونشكر له إحسانه .

فعند الطبراني عن الحكم بن عمير أن رسول الله – ﷺ – قال :**«من أتى إليكم بمعروف فكافئوه »** (١).

فإن لم يكن لديك قدرة مالية، أو استطاعة مادية ، فعليك بالدعاء له ، والثناء عليه، وشكره على فضله، فلا يعرف الفضل لأهل الفضل، إلا ذوو الفضل .

قال– ﷺ –:**«فإن لم تجدوا فأدعو له »**.

وعند الترمذي عن أسامة بن زيد –رضي الله عنهما– قال– ﷺ –: **«من صُنع إليه معروف، فقال لفاعله : جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الثناء »** (٢) .

(١) صحيح الجامع(٥٩٣٧).
(٢) أخرجه الترمذي– كتاب البر والصلة– باب ما جاء في الثناء والمعروف – حديث ٢٠٣٥ وصححه الألباني .

فرد الجميل ليس خاصاً بالأغنياء ،أو من عنده قدرة مادية، فالنبي – ﷺ – لم يدع مجالاً للتنصل من رد الجميل لصاحبه ،فمن لم يستطع ، وعجز عن المادة، فلن يعجز عن كلمة «جزاك الله خيراً» .ولهذا يكون قد أبلغ في الثناء، وتحلى بهذا الخلق

قال في تحفة الأحوذي (٦/١٥٦): ((فَقَالَ لفَاعله) أَيْ بَعْدَ عَجْزه عَنْ إِثَابَته، أَوْ مُطْلَقًا ، « جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا » أَيْ خَيْرَ الْجَزَاء أَوْ أَعْطَاك خَيْرًا مِنْ خَيْرَيْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة ،« فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاء » أَيْ بَالَغَ فِي أَدَاء شُكْره وَذَلِكَ أَنَّهُ اعْتَرَفَ بِالتَّقْصِيرِ ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ عَجَزَ عَنْ جَزَائِه ، وَثَنَائِه ، فَفَوَّضَ جَزَاءَهُ إِلَى اللهِ لِيَجْزِيَهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا قَصُرَتْ يَدَاكَ بِالْمُكَافَأَة ، فَلْيَطُلْ لِسَانُك بِالشُّكْرِ وَالدُّعَاءِ).

وكان يكافأ – ﷺ – كل صاحب نعمة أو يد، ويظهر ذلك جلياً فيما ثبت عند الترمذي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال :«ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه، ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً ، يكافيه الله بها يوم القيامة ، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، إلا أن صاحبكم خليل الله » .والمراد باليد هنا « العطاء والإنعام» .

وفي هذا الحديث يذكر – ﷺ – أنه ما من شخص له عليه نعمة ، أو عطاء إلا وقد جازاه، ورد له جميله، وكافأه على صنيعه [1] ، وهذا يدل على تحليه بهذا الخلق – ﷺ – في كثير من المواطن .

بل حتى رأس النفاق في زمنه – عبد الله بن أُبي بن سلول ، وذلك حين أعطاه النبي – ﷺ – قميصه .

(١) إلا ما استثناه ﷺ في شأن أبي بكر لأنه بذل لرسول الله ﷺ ودينه النفس والمال والأهل والولد راجع تحفة الأحوذي ١٠/١٠١.

فعند البخاري من حديث عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: «لما توفي عبد الله ابن أُبي ، جاء عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله – ﷺ –فسأله أن يعطيه قميصه، يكفن فيه أباه ، فأعطاه »[1] .

قال بعض السلف: أن النبي – ﷺ – أعطاه قميصه ليكفن فيه وذلك لأن ابن أبي قد أعطى العباس عم النبي – ﷺ – قميصه يوم بدر .

فقد جاء عند البخاري عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال : « لما كان يوم بدر أتى العباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي – ﷺ – له قميصاً، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يُقدر عليه، فكساه النبي – ﷺ – إياه، فلذلك نزع النبي – ﷺ – قميص الذي ألبسه ».

قال ابن عيينة: كانت له عند النبي – ﷺ – يد فأحب أن يكافئه .

قال القرطبي – رحمه الله – (التفسير ٥/ ٢٠٧):(فأراد النبي – ﷺ – بإعطاء القميص أن يرفع عنه اليد في الدنيا، حتى لا يلقاه في الآخرة وله عليه يد يكافئه بها).

فأنظر إلى الرحمة المهداة –عليه الصلاة والسلام–حتى المنافق،والعدو اللدود، والذي ما ترك باباً لعدائه ،وأذيته إلا فتحه – ﷺ –حتى آذاه في عرضه.

ومع هذا يكافئه – ﷺ – ويرد له جميله الذي كان منه يوم بدر

قال سفيان : فيرون النبي– ﷺ – ألبس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع لعباس[2].

---

(١) أخرجه البخاري – كتاب الجهاد – باب الكسوة للأسارى حديث:٣٠٠٨.
(٢) الفتح(٣/ ٢١٥).

شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب
من باب المكافأة

إن من أنواع الشفاعة التي ذكرها أهل العلم للنبي - ﷺ - شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، وذلك لما جاء عند البخاري عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: ذكر رسول الله - ﷺ - عمه أبا طالب، فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار، يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه»[(١)].

وفي مسلم عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال: «**أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه**»[(٢)].

قال القرطبي في المفهم: أُختُلف في هذه الشفاعة هل هي بلسان قولي، أو بلسان حالي؟.

والأول: يُشكل بالآية [(٣)]، وجواب ذلك جواز التخصيص.

والثاني: يكون معناه أن أبا طالب لما بلغ في إكرام النبي - ﷺ -، والذَّب عنه جوزي على ذلك بالتخفيف فأطلق على ذلك شفاعة لكونها بسبب[(٤)].

وهذه مكافأة من رسول الله - ﷺ - لعمه أبي طالب، ومجازاة، لما قدمه للدعوة في بداية مهدها. حتى الكافر علمتنا الشريعة أن لا ننسى جميله، وأن نرد له معروفه، وما أسداه.

(١) أخرجه البخاري - كتاب الرقائق - باب صفة الجنة والنار حديث:٦٥٦٤.
(٢) أخرجه مسلم - كتاب الإيمان - باب أهون النار عذاباً حديث :٢١٢.
(٣) قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].
(٤) الفتح (١١/ ٤٣١).

الوفاء لصاحب الجميل وعدم نسيانه :

ومن أخلاقه - ﷺ - في رد الجميل ، وعدم نسيانه لصاحبه ، حتى ولو بعد موته، قصته مع خديجة - رضي الله عنها - والتي من شدة ذكره لجميلها، ومعروفها معه - ﷺ - أصابت الغيرة عائشة - رضي الله عنها - فها هي تحدثنا عن تفاصيل هذا الوفاء، فعند البخاري قالت عائشة - رضي الله عنها - :ما غرت على أحد من النساء ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي - ﷺ - يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا من امرأة إلا خديجة، فيقول :«إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد »(١).

وقالت عائشة - رضي الله عنها - ما غرت على نساء النبي - ﷺ - إلا على خديجة وإني لم أدركها، قالت :وكان رسول الله - ﷺ - إذا ذبح الشاة فيقول : «**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة** » ، قالت: فأغضبته يوماً ، فقلت :خديجة ! فقال رسول الله - ﷺ - «**إني قد رزقت حُبها** »(٢).

وفي البخاري عنها قالت : ما غرت على امرأة لرسول الله ، كما غرت على خديجة، لكثرة ذكر الرسول - ﷺ - إياها ، وثنائه عليها، وقد أوحى الله إلى رسول الله - ﷺ -: (**أن يبشرها ببيت لها في الجنة من قصب**)(٣).

وقالت عائشة - رضي الله عنها - كما في الصحيحين :«استأذنت هالة بنت خويلد - أخت خديجة - على رسول الله - ﷺ - فعرف استئذان خديجة فأرتاع لذلك، فقال :«**اللهم هالة** »، قالت فغرت، فقلت : ما تذكر من عجوز من عجائز

---

(١) أخرجه البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب تزويج النبي خديجة وفضلها - رضي الله عنها - حديث:٣٨١٨.
(٢) رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل خديجة حديث :٢٤٣٥.
(٣) أخرجه البخاري كتاب النكاح - باب غيرة النساء ووجدهن حديث :٣٨٢١.

قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر؟ قد أبدلك الله خيراً منها [١] .

ولقد جاء عند الإمام أحمد تعليله - ﷺ - لكثرة هذا الذكر الذي يدل على كثرة المحبة .

فعن عائشة - رضي الله عنها - : قال رسول الله - ﷺ - : **«آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها، وحرمني أولاد الناس»** .

فتلك لمسات وفائه - ﷺ - ، وشذرات حبه وثنائه ، وذكرها بالجميل، وكل هذا مكافأة منه - ﷺ - لتلك اللبيبة الكريمة ، أول من آمن بالله من النساء، وأول من صلى مع رسول الله - ﷺ - ،وأول من رزق منها الأولاد، وأول من بشرها بالجنة من بين أزواجه، وأول من أقرأها ربها السلام، وأول صديقة من المؤمنات، وأول زوجاته - ﷺ - وفاة .

إنها سكن النبي - ﷺ - التي آزرته، ووقفت بجواره ليبلغ دعوة ربه - جل وعلا - إنها سيدة نساء العالمين ، وزوجة سيد الأولين والآخرين، إنها خديجة التي سطع نجمها في عالم الإيمان ، والطهر ، والنبل ، والعطاء ، والوفاء .

فرضي الله عنها وعن أزواج رسول الله - ﷺ - أجمعين ،وآل بيته ، وصحابته المهديين .

لا يشكر الله من لا يشكر الناس:

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - ﷺ - :**«لا يشكر الله من لم يشكر الناس»** رواه أحمد وأبو داود والترمذي [٢] .

---

(١) أخرجه البخاري - كتاب مناقب الأنصاري - باب تزويج النبي خديجة وفضلها - رضي الله عنها - حديث : ٣٨٢١ ، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل خديجة حديث :٢٤٣٧.

(٢) أخرجه أحمد حديث : (٧٥٠٤) وأبو داود حديث (٤٨١١) والترمذي حديث (١٩٥٥).

قال ابن مفلح ؒ(الآداب الشرعية ص:٢٠٤) «مؤسسة الرسالة ناشرون» : (قال في النهاية : معناه أن الله تعالى لا يقبل شكرا للعبد على إحسانه إليه ، إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ،ويكفر أمرهم، لاتصال أحد الأمرين بالآخر .

وقيل : معناه أن من كان عادته وطبعه كفران نعمة الناس وترك شكره لهم، كان من عادته كفر نعمة الله – عز وجل – وإن شكره كما تقول : لا يحبني من لا يحبك، أي :أن محبتك مقرونة بمحبتي فمن أحبني يحبك، ومن لا يحبني لا يحبك فكأنه لم يحبني، وهذه الأقوال مبنية على رفع أسماء الله -عز وجل - ونصبه أ.هـ .

وفي البخاري عن عائشة – ؓ – أن رسول الله – ﷺ – كان يقبل الهدية ويثيب عليها [(١)] .

الفائدة الرابعة : انتهاز الداعية للفرص والمواقف .

لما رأى النبي –ﷺ-ذلك الموقف من الأعرابي، وطلبه الناقة ،والعنز حيث قال : (ناقة وأعنز يحلبها أهلي .) انتهز النبي – ﷺ – هذا الموقف ليوجه للأعرابي ، وهو توجيه للأمة جمعاء، ويدله على ما هو أرفع له من ذلك، وخير من المتاع الزائل الذي طلبه، فنقله النبي – ﷺ – إلى زمن بعيد قد مضى، وبيننا وبينه آلاف السنين، ولكن تبقى العبرة وإن طال الزمن، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، ولم يكن بطل هذه القصة في ذلك ا لزمن ، شاباً مفتول العضلات، ولا غنياً عنده الأموال والتجارات، ولا فتاة من النساء الجميلات، بل امرأة، وامرأة عجوز، قد احدودب ظهرها، وشاب شعرها، وبلغت من العمر عتياً .

وكل هذا لم يمنع النبي– ﷺ – أن يروي لنا خبرها، ويحكي قصتها للفوائد

(١) أخرجه البخاري في الهبة – باب المكافأة في الهبة – برقم ٢٥٨٥.

الجمة، ويسمو بالأعرابي إلى علو الهمة .

فاستخدم - ﷺ -أسلوب التشويق ،ولم يذكر قصة العجوز بشكل مباشر، بل قال :«أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل » فسأل الصحابة من فورهم:«وما عجوز بني إسرائيل ؟»،وما وجه المقارنة بينها وبين الأعرابي ؟.

ويظهر من النبي - ﷺ - في هذا الموقف تعليم الدعاة، استغلال الأوقات، وانتهاز الفرص، لتوجيه الناس وتربيتهم .

أمثلة أخرى لانتهاز الفرص :

لقد وصف الله نبينا محمداً - ﷺ - فقال : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة : ٨٢١]، وكان - ﷺ - كثيراً ما ينتهز الفرص، ويستغل المواقف للتعليم والإرشاد ، والتوجيه للعباد، بما يوصلهم إلى رب الأرباب، ومن ذلك :

١-ما جاء في الصحيحين عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما- أن رسول الله- ﷺ - مر بالسوق ، والناس كنفته [(١)]، فمر بجدي أسك ميت ، فتناوله فأخذ بأذنه ، ثم قال : « **أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟** » فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ؟ قال : « **أتحبون أنه لكم ؟** » قالوا : والله لو كان حيًا ، كان عيبا فيه ، أنه أسك [(٢)] ، فكيف وهو ميت ؟ فقال : « **فوالله للدنيا أهون على الله ، من هذا عليكم** » [(٣)].

٢- عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال : قدم على رسول الله - ﷺ - سبي ، فإذا امرأة من السبي تسعى ، إذ وجدت صبيا في السبي ، فأخذته

(١) أي جانبيه .
(٢) أسك: صغير الأذنين
(٣) رواه مسلم - كتاب الزهد - باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر حديث :٢٩٥٧.

فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال رسول الله - ﷺ - : « أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟» قلنا :لا، وهي تقدر على أن تطرحه ، فقال رسول الله - ﷺ -: « لله أرحم بعباده من هذه بولدها» .

الفائدة الخامسة : النصح للآخرين:

لقد كان في إخباره - ﷺ - للأعرابي بخبر عجوز بني إسرائيل نصح منه، وتوجيه وإرشاد، فدله - ﷺ - ،وأرشده على ما هو خير له مما طلب .

وهذا من النصيحة للمسلمين، وينبغي للمسلم أن يتعلمها من أخلاقه - ﷺ - وأن يجعل النبي - ﷺ -قدوة وأسوة : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب:١٢] فالنبي- ﷺ - ما ترك خيراً إلا ودلنا عليه، ولا ترك شراً إلا وحذرنا منه، وكان أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا .

مكانة النصيحة في الشريعة :

النصيحة : هي بذل النصح للغير قال النووي : النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له . شرح مسلم (٢/ ١٣).

وقد جعل النبي - ﷺ -النصيحة هي الدين ، فقال كما في مسلم عن أبي رقية تميم بن أوس الداري- رضي الله عنه - أن النبي- ﷺ - قال :**«الدين النصيحة » قلنا: لمن ؟ قال :«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين، وعامتهم »** (١).

قال النووي (شرح مسلم ١٣/٢): هَذَا حَدِيث عَظِيم الشَّأْن وَعَلَيْهِ مَدَار الْإِسْلَام.

وقال (نفس المصدر): وَمَعْنَى الْحَدِيث: عِمَاد الدِّين وَقِوَامه النَّصِيحَة . كَقَوْلِهِ :

(١) أخرجه مسلم - كتب الإيمان - بيان الدين النصيحة حديث :٥٥.

الْحَجُّ عَرَفَة أَيْ عِمَاده وَمُعْظَمه عَرَفَة.

وقال (٣٣/٢): قَالَ ابْنِ بَطَّال - رَحِمَهُ الله - فِي هَذَا الْحَدِيث : أَنَّ النَّصِيحَة تُسَمَّى دِينًا وَإِسْلَامًا وَأَنَّ الدِّين يَقَع عَلَى الْعَمَل كَمَا يَقَع عَلَى الْقَوْل . قَالَ : وَالنَّصِيحَة فَرْض يُجْزِي فِيهِ مَنْ قَامَ بِهِ ، وَيَسْقُط عَنْ الْبَاقِينَ . قَالَ : وَالنَّصِيحَة لَازِمَة عَلَى قَدْر الطَّاقَة ، إِذَا عَلِمَ النَّاصِح أَنَّهُ يُقْبَل نُصْحه ، وَيُطَاع أَمْرُهُ ، وَأَمِنَ عَلَى نَفْسه الْمَكْرُوه . فَإِنْ خَشِيَ عَلَى نَفْسه أَذًى فَهُوَ فِي سَعَةٍ . وَاَللَّه أَعْلَم .أ.هـ

وجرير بن عبد الله - الذي ما رآه النبي - ﷺ - إلا وتبسم في وجهه - يقول كما في الصحيحين [1] :(بايعت رسول الله - ﷺ - على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .) وفي رواية :(بايعت رسول الله - ﷺ - على النصح لكل مسلم) .

وفعلاً كان جرير ناصحاً لعباد الله، وفي ببيعته ، وصدق الله في ذلك.

فقد ذكر النووي عن الطبري خبراً عن جرير مختصره : (أَنَّ جَرِيرًا أَمَرَ مَوْلَاهُ أَنْ يَشْتَرِيَ لَهُ فَرَسًا فَاشْتَرَى لَهُ فَرَسًا بِثَلَثِمِائَةِ دِرْهَم ، وَجَاءَ بِهِ وَبِصَاحِبِهِ لِيَنْقُدَهُ الثَّمَنَ ، فَقَالَ جَرِير لِصَاحِبِ الْفَرَس : فَرَسُك خَيْر مِنْ ثَلَثِمِائَةِ دِرْهَم . أَتَبِيعُهُ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَم ؟ قَالَ ذَلِكَ إِلَيْك يَا أَبَا عَبْد الله . فَقَالَ : فَرَسُك خَيْر مِنْ ذَلِكَ . أَتَبِيعُهُ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَم ؟ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَزِيدُهُ مِائَة ، فَمِائَة ، وَصَاحِبه يَرْضَى ، وَجَرِيرُ يَقُول : فَرَسك خَيْر إِلَى أَنْ بَلَغَ ثَمَانِمِائَةِ دِرْهَم . فَاشْتَرَاهُ بِهَا . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي بَايَعْت رَسُول الله - ﷺ - عَلَى النُّصْح لِكُلِّ مُسْلِم .)

وجعل النبي - ﷺ -للمسلم على المسلم حقوقاً ومنها : «**إذا استنصحك فانصح له**» فعند البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : «**حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه،**

(١) أخرجه البخاري - كتاب الإيمان - باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة حديث :٥٧، ومسلم - كتاب الإيمان - باب بيان أن الدين النصيحة حديث :٥٦.

وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فأتبعه » (١).

قال النووي شرح مسلم (١١٨/١٤): إذا استنصحك معناه طلب منك النصيحة، فعليك أن تنصحه، ولا تداهنه، ولا تغشه، ولا تمسك عن بيان النصيحة . والله أعلم .

النصح من سمات الأنبياء :

أخبرنا الله في كتابه الكريم عن نصح الأنبياء لقومهم ، وإشفاقهم عليهم رغم ما لاقوه من الأذية منهم .

قال صالح - عليه السلام -: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف : ٩٧] .

وقال هود - عليه السلام - : ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف : ٨٦] .

الفائدة السادسة : خطورة التفريط بالأوامر الشرعية:

وهذه الفائدة مأخوذة من قوله - ﷺ -:«إن موسى حين أراد أن يسير ببني إسرائيل ضل الطريق ».

وذلك لتركهم العهد الذي أخذه عليهم يوسف - عليه السلام - وخطورة هذاالتفريط كان راجعاً إلى الجميع، فلم يهتدوا إلى طريق الخلاص من كيد فرعون، وهذا كله وفيهم كليم الرحمن، ونبي المنان موسى - عليه الصلاة والسلام - ، ومع ذلك لما وقع التفريط لم يشفع لهم وجودُ هذا النبي الكريم الكليم ـ عليه الصلاة والتسليم ـ .

واليوم كم من العهود التي أخذها الله على هذه الأمة، فتاهت عنها، وتركتها

(١) أخرجه مسلم - كتاب السلام - باب من حق المسلم للمسلم- حديث:٢١٦٢ .

خلفها ظهرياً، غير مبالية بعهد الله، أو معظمة لحدوده تبارك وتعالى .

ومع هذا تريد أمة الإسلام في هذا العصر أن تخرج من التيه، والهيمان الذي تعيشه، والذي أصابها، وأحاط بها من كل جهة، حتى أصبح عُباد الأبقار ، والفئران ، والفروج أعز عند أعدائنا منا، ولهم يحسب ألف حساب، أما أمة الإسلام فهي عند اليهود والنصارى ، في آخر الصفوف لا وزن لها، ولا قيمة، تؤكل ثرواتها، وتُستباح أعراضها، وتُقتل رجالاتها، وتُذبح أطفالها ، وتُسام سوء العذاب ، ومع ذلك ما زلنا مصرين على البقاء في هذا التيه ، والله تعالى يقول : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد : ١١] .

خطورة الذنوب والمعاصي من الكتاب والسنة :

لقد جاءت النصوص المتكاثرة في كتاب الله وسُنَّة رسول الله - ﷺ - تبين خطورة الذنب على الأفراد والمجتمعات ،وأثرها في هلاك الأمم ، قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت : ٤٠]، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى : ٣٠] ، وقال تعالى : ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل : ١١٢]، وقال تعالى:﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الطلاق : ٨ - ١٠] ،وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا

عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦] ، وقال تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور : ٦٣].

وأما من السنة النبوية :

فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : أقبل علينا رسول- ﷺ - فقال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط ، حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون ، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان ، إلا أخذوا بالسنين ، وشدة المئونة ، وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم ، إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله ، وعهد رسوله ، إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم ، فأخذوا بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما أنزل الله ، إلا جعل الله بأسهم بينهم»رواه ابن ماجة (١) .

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - «.. **وجعل الذل والصغار على من خالف أمري** »رواه أحمد (٢) .

وعن عبد الله بن مسعود (٣) - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : "**إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه**" وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا : كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق ، فيجيء بالعود ، والرجل يجيء بالعود ، حتى جمعوا سوادا ، وأججوا نارا ، وأنضجوا ما قذفوا فيها».

(١) رواه ابن ماجة في الفتن - باب العقوبات، صحيح الجامع (٧٩٧٨).
(٢) المسند (٥١١٤، ٥١١٥) وانظر صحيح الجامع (٢٨٣١).
(٣) رواه أحمد (٢٢٢٣١).

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – ﷺ – قال :« **عذبت امرأة في هرة، سجنتها حتى ماتت، فدخلت النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها، ولاهي تركتها تأكل من خشاش الأرض** » متفق عليه [(١)].

وعند أحمد من حديث جرير– رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ – قال : «**ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، وهم أعز وأكثر ممن يعمله، لم يغيروه، إلا عمهم الله بعقاب** »رواه أبو داود وابن ماجة [(٢)] .

وعند أبي داود عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال– ﷺ –: « **إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع ،وتركتم الجهاد في سبيل الله ، سلط عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا لدينكم** » [(٣)].

والنصوص في الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة ليس هذا مجال استقصاءها.

هلاك المعاصي للأمم وإن وجد الصالحون :

إن عدم استجابة الأمة لأوامر ربها ، سبب في هلاكها ، وإن وجد في صفوفها أهل الصلاح فإن العقاب يعم .

قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال : ٥٢].

قال ابن كثير (٢/٣١١): يحذر تعالى عباده المؤمنين ﴿ فِتۡنَةٗ ﴾ أي: اختبارًا ومحنة، يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي ، ولا من باشر الذنب،

---

(١) أخرجه البخاري في الشرب والمساقاة – باب فضل سقي الماء حديث ٢٣٦٥، ومسلم في السلام – باب تحريم قتل الهرة حديث :٢٢٤٢.

(٢)أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٣،٣٦١)وأبو داود في الملاحم – باب الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر و وابن ماجة حديث : ٤٣٣٩، وابن ماجة في الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث :٤٠٠٩.وحسنه الألباني

(٣) رواه أبو داود– كتاب الإجارة – باب النهي عن العينة حديث :٣٤٦٢، والبيهقي في السنن الكبرى حديث : ١١٠٠٣٩.

بل يعمهما، حيث لم تدفع وترفع.

وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - دخل عليها فزعاً يقول: **«لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد أقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»** وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟، قال: **«نعم إذا كثر الخبث»** متفق عليه [(١)].

وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: **«إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله - عز وجل - بأسه على أهل الأرض، وإن كان فيهم صالحون يصيبهم ما أصاب الناس ثم يرجعون إلى رحمة الله ومغفرته»** رواه أحمد والحاكم [(٢)].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: **«مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا يُستجاب لكم»** رواه ابن ماجة [(٣)].

وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: **«إن الناس إذا روا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقابه»** رواه ابن ماجة [(٤)].

قال ابن القيم - رحمه الله - (الجواب الكافى ص ٥٧ - ٥٦): وهل في الدنيا والآخرة شر، وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي؟ فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، ودار اللذة والنعيم، والبهجة والسرور، إلى دار الآلام، والأحزان، والمصائب؟.

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء، وطرده، ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه، فجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبدل بالقرب بعداً، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحاً، وبالجنة ناراً تلظى، وبالإيمان كفراً، وبموالاة الولي الحميد أعظم عداوة ومشاقة، وبزجل التسبيح

(١) أخرجه البخاري - كتاب الفتن - باب قول النبي ﷺ **«ويل للعرب من شر قد أقترب»** حديث: ٧٠٥٩، ومسلم - كتاب الفتن - باب اقتراب الفتن وفتح لام يأجوج ومأجوج حديث: ٢٨٨٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٦٥٨) والمستدرك (٨٦٥٩) وانظر صحيح الجامع (٦٨٠).

(٣) أخرجه ابن ماجة - كتاب الفتن - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٤٠٠٤، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أحمد (١٦)، وابن ماجة - كتاب الفتن - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث ٤٠٠٥.

والتقديس، والتهليل زجل الكفر ، والشرك ، والكذب ، والزور، والفحش، وبلباس الإيمان لباس الكفر ، والفسوق ، والعصيان ؟ فهان على الله غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط، وحل عليه غضب الرب تعالى فأهواه ، و مقته أكبر المقت فأرداه، فصار قواداً لكل فاسق ومجرم ، رضي لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة ، والسيادة ، فعياذاً بك اللهم من مخالفة أمرك، وارتكاب نهيك .

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم،حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت مامرت عليه من ديارهم ،وحروثهم ،وزورعهم، ودوابهم ، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة ؟ .

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة، حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن أخرهم ؟.

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً، ثم أتبعهم حجارة من السماء، أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد ؟.

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى ؟.

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ، ثم نقلت أراوحهم إلى جهنم ، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق ؟.

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله ؟.

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات، ودمرها تدميراً؟.

وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة، حتى خمدوا عن آخرهم ؟.

وما الذي بعث على بني إسرائيل قوماً أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار ، ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليهم وتبروا ما علوا تتبيراً ؟ ، وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات مرة بالقتل ، والسبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى ﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [الأعراف : ١٦٧].

قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال :لما فتحت قبرص فرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض .

فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي ، فقلت :يا أبا الدرداء ما يبكيك ، في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله ؟ فقال :« ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله – عز وجل – إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك ، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى» [(١)] أ.هـ.

وقال ابن القيم – رحمه الله – (الجواب الكافي ص ٧١) :(وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة،المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة مالا يعلمه إلا الله.

ثم جعل يعددها وأذكرها باختصار :

١- حرمان العلم فإن العلم نور ، والمعصية تطفئ ذلك النور

٢-حرمان الرزق وكما أن التقوى مجلبة للرزق ،فترك التقوى مجلبة للفقر .

٣- وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا يوازنها،ولا يقارنها لذة أصلاً .

٤- الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس ، ولا سيما أهل الخير منهم .

(١) رواه أحمد في الزهد (١٧٦).

٥- تعسير أموره، وكما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسراً ، فمن عطل التقوى جعل الله له من أمره عسراً.

٦- ظلمة يجدها في قلبه يحس بها كما يحس ظلمة الليل البهيم إذا أدلهم، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم تقوى حتى تعلوا الوجه، وتصير سواداً فيه يراه كل أحد .

٧- حرمان الطاعة، وهذا كرجل أكل أكلة أوجبت له، مرضة طويلة منعشة من عدة أكلات أطيب منها .

٨- تقصر العمر ، وتمحق بركته .

٩-المعاصي تزرع أمثالها قال بعض السلف: من عقوبة السيئة السيئة بعدها.

١٠- المعصية تورث الذل فالعز في طاعة الله تعالى .

١١- تفسد العقل قال بعض السلف: ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله .

١٢- الذنوب تطبع على القلب : ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين : ١٤]، قال بعض السلف : هو الذنب بعد الذنب .

١٣- تدخل العبد تحت لعنة رسول الله - ﷺ - فقد وردت السنة بلعن كثير من المعاصي .

١٤- حرمان دعوة رسول الله - ﷺ - والملائكة، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر : ٧].

١٥- تضعف القلب عن إرادته فتقوى إرادة المعصية ، وتضعف إرادة التوبة شيئاً فشيئاً ، إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية .

١٦- سبب لهوان العبد على ربه ، وسقوطه من عينه : ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ [الحج : ١٨].

١٧- تُحدث الفساد في الأرض : ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم : ٤١].

١٨- سبب الخسوف والزلازل .

الفائدة السابعة:سؤال أهل العلم والرجوع إليهم عند الأمور المدلهمات

إن موسى – عليه الصلاة والسلام – لما رأى أنهم يضلون الطريق، وتاهوا عن الاهتداء إليها، سأل علماء بني إسرائيل ، وهذا واضح من إجابتهم سؤاله: « **فقال علماء بني إسرائيل : نحن نحدثك** » ، فكان عندهم علم بسبب تيههم ذاك ، وكذلك دلوه على سبب الخروج منه :«**فقال علماء بني إسرائيل ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز بني إسرائيل**» .

فوجود العلماء في الأمة سبب للخروج من مشاكلها، والاهتداء إلى المخرج الشرعي من كثير من الفتن التي تعيشها .

ولذلك يقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء : ٨٣] .

قال العلامة السعدي تفسير السعدي - (ص ١٩٠):

هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة ، والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ،ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول ، وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي ، والعلم، والنصح

والعقل ، والرزانة، الذين يعرفون الأمور،ويعرفون المصالح ، وضدها.

وقال الحسن وقتادة وغيرهما : (أو لوا الأمر هم أهل العلم والفقه) . تفسير القرطبي (٣/ ٤١٠).

والله – عز وجل – يأمرنا في كتابه الكريم بسؤال أهل الذكر ، فقال تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٣٤].

وقال السعدي – رحمه الله تعالى - تفسير السعدي - (ص ٤٤١):

(فاسألوا أهل العلم بذلك الذين نزلت عليهم الزبر ، والبينات فعلموها وفهموها، فإنهم كلهم قد تقرر عندهم أن الله ما بعث إلا رجالا يوحي إليهم من أهل القرى، وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم ، وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله.)

ولأهمية وجود أهل العلم في المجتمع، و كيف أنهم صمام أمان للأمة، وسبب كبير في حراستها من الضلال ، والانحراف قال – ﷺ – :«**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا** » رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة وأحمد عن عبد الله بن عمرو [(١)] .

منزلة العلماء وفضلهم في الكتاب والسنة :

وردت النصوص الشرعية في الكتاب ،والسنة والنبوية، تذكر المسلمين

(١) أخرجه البخاري في العلم – باب كيف يقبض العلم حديث : ١٠٠ ومسلم في العلم – باب رفع العلم وقبضه – حديث :٢٦٧٣، والترمذي في العلم – باب ما جاء في ذهاب العلم حديث : ٢٦٥٢، وابن ماجة في باب اجتناب الرأي والقياس حديث : ٥٢.

بفضل العلماء، وتبين لهم المرتبة العالية التي وصلوا إليها ، وما كل ذلك إلا لنعلم أن توقيرهم ، وتعظيمهم - التعظيم الشرعي - هو من توقير الله ورسوله - ﷺ - .

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال - ﷺ - :«**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط**»رواه أبو داود [1].

١ - قرن الله شهادة العلم بشهادته وشهادة ملائكته :

فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران : ١٨].

فيكفي العلماء هذه المنقبة العظيمة في هذه الآية المباركة ، وزد على هذا يقول العلامة السعدي - رحمه الله - (ص ١٢٤).

(وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس، ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفى بذلك فضلا، ومنها: أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته، ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنها: أن إشهاده تعالى أهل العلم يتضمن ذلك تزكيتهم وتعديلهم وأنهم أمناء على ما استرعاهم عليه.) أ.هـ

---

(١) رواه أبو داود ـ في الأدب ـ باب في تنزيل الناس منازلهم ـ حديث :٤٨٤٣ وحسنه الألباني.

٢- أهل العلم هم أحد صنفي ولاة الأمر :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء : ٥٩].

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : ﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ يعني أهل الفقه والدين، وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصري وقال ابن كثير (١/ ٥٣٠) :والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء .أ.هـ.

٣- أهل العلم القائمون على أمر الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [المائدة : ٦٣].

قال السعدي – رحمه الله - (٢٣٧):

فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبوهم في الخير ويرهبوهم من الشر أ.هـ .

وعن معاوية – رضي الله عنه – قال : قال النبي – صلى الله عليه وسلم – :«**من يرد الله به خيراً يفقه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله** » رواه البخاري ومسلم [(١)] .

قال الإمام أحمد :إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم .

٤- أهل العلم أمناء الله على دينه :

قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ

(١) رواه البخاري – كتاب العلم – باب من يرد الله به خيراً حديث (٧١) ومسلم – كتاب الزكاة – باب النهي عن المسألة حديث :١٠٣٧.

وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [المائدة : ٤٤].

وقوله تعالى : ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي : بسبب أن الله استحفظهم على كتابه، وجعلهم أمناء عندهم، أوجب عليهم حفظه من الزيادة والنقصان، والكتمان، وتعليمه لمن لا يعلمه » تفسير السعدي: (٢٣٣) .

٥- أهل العلم أهل الخشية لله :

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر : ٢٨].

قال مجاهد : إنما العالم من خشي الله – عز وجل – وقيل لسعد بن إبراهيم : من أفقه أهل المدينة ؟ قال أتقاهم لربه عز وجل، وقال الربيع بن أنس : من لم يخشى الله تعالى فليس بالعالم [١] .

٦- العلماء يستغفر لهم من فى السموات والأرض. وتضع الملائكة لهم أجنحتها وهم ورثة الأنبياء :

عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – :« **من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ، ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد ، كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ، ولا درهما إنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**» رواه الترمذي وابن ماجة وأبو داود [٢] .

٧- رفعة الله لأهل العلم :

قال تعالى : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا

---

(١) تفسير القرطبي :(٨/ ٢٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي في العلم – باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة حديث (٢٦٨٢)، وأبو داود في العلم – باب فضل العلم حديث(٣٦٤).

﴿تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة : ١١].

وفي صحيح مسلم أن نافع بن عبد الحرث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال : من استعملت على أهل الوادي ؟ فقال :ابن أبزى فقال : ومن ابن أبزى ؟ قال مولى من موالينا، قال : فاستخلفت عليهم مولى قال : إنه قارئ لكتاب الله ،وإنه عالم بالفرائض قال عمر :أما إن نبيكم – ﷺ – قد قال :«إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين» [(١)].

يقول الخطيب البغدادي في تاريخه (١٥/١٤): وكان المأمون قد وكل الفراء يلقن ابنيه النحو فلما كان يوماً أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له ، فتنازعا أيهما يقدمه ، ثم اصطلحا أن يقدم كل واحد منها فرداً فقدماها. وكان المأمون له على كل شيء صاحب ، فرفع ذلك إليه في الخبر ، فوجه إلى الفراء فاستدعاه ، فلما دخل عليه قال له: من أعز الناس؟ قال: ما أعرف أعز من أمير المؤمنين قال: بلى من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى رضي كل واحد أن يقدم له فرداً ، قال: يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما عن ذلك ، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها ، أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصاً عليها.

ويروى عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين ركابيهما حين خرجا من عنده فقال له بعض من حضر: أتمسك لهذين الحديثين ركابيهما وأنت أسن منهما؟ قال له: أسكت يا جاهل لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل.

قال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوماً وعتباً ، وألزمتك ذنباً

---

(١) أخرجه مسلم – في صلاة المسافرين – باب فضل من يقول بالقرآن ويعلمه حديث :٨١٧ وابن ماجة – باب فضل من تعلم القرآن وعلمه – حديث :٢١٨.

وما وضع ما فعلاه من شرفهما ، بل رفع من قدرهما ، وبين عن جوهرهما وقد ثبتت لي مخيلة الفراسة بفعلهما فليس يكبر الرجل - وإن كان كبيراً - عن ثلاث: عن تواضعه لسلطانه ، ووالده ، ومعلمه العلم ، وقد عوضتهما عما فعلاه عشرين ألف دينار ، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهم.

وعلى كل فالعلماء «هم منة الله تعالى على هذه الأمة، قاموا بالإسلام وللإسلام، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون به أهل العمى، ويرشدون من ضل منهم إلى الهدى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه.

يقتبسون من نور الوحي، ويسيرون على مشكاة النبوة، عقيدة وعلماً وعملاً، ومنهجاً ودعوةً، فكم نفع الله بهم البلاد، وكم هدى بهم من العباد، وإن ارتباط الأجيال اللاحقة، والناشئة المعاصرة :بسلفهم من العلماء الأفذاذ، ينتفعون بسيرتهم، ويسيرون على منهجهم، ويقتبسون من نور علمهم وفضلهم، لهو من أهم الأمور التي ينبغي أن نُعنى بها دائماً ، وأبداً لا سيما العلماء ، وطلاب العلم ، والدعاة إلى الله، ورجال الحسبة ، والإصلاح، كيف لا ونحن نعيش في أعقاب الزمن ، حيث كثرت الفتن، وطمت المحن، واستحكمت الأزمات، وعمت الخلافات، وتباينت المشكلات ، والمعضلات، واشتدت التحديات، والمؤامرات، ولا مخلص منها إلا الاعتصام بالكتاب والسنة ، والسير على منهج علماء سلف الأمة ....

غير أن لا عصمة لأحد من سائر الناس، والتعصب للرجال مذموم ، وخير الهدي هدي من لا ينطق على الهوى، إن هو إلا وحي يوحى [1] .

---

(١) من كوكبة الخطب المنيرة للشيخ / عبد الرحمن السديس- حفظه الله - بتصرف يسير

الفائدة الثامنة :الوفاء بالمواثيق والعهود :

ومما نستفيده من هذا الخبر وجوب الوفاء بالمواثيق التي تؤخذ على الإنسان، وأنه مكلف بالقيام بها ، وأداءها والمواثيق والعهود على قسمين :

الأول : عهد مع الله تعالى حين استخرج ذرية آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك، وجبلهم عليه .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ – قال :«**يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة، أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به، قال : « فيقول :نعم، فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي** » .

وعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال :إن الله مسح صلب آدم فأستخرج منه كل نسمة من خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق ويومئذ، فمن أدرك الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقربه لم ينفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة . رواه ابن جرير .

الثاني : عهد مع عباد الله، ومنه العهود التي تقع بين الناس، وبين الإنسان وأخيه المسلم، أو بين المسلمين والكافرين، وفي كل هذا يجب على المؤمن الوفاء

بالعهد، والحذر من الغدر أو الخيانة في أدائه .

قال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء : ٣٤]، وقال تعالى :﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [النحل : ٩١] ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة :١]، ففي كل هذه الآيات يأمر الله عباده المؤمنين بالوفاء بالعهود والعقود، وبين المولى – عز وجل – أن العهد مسئول عنه الإنسان يوم القيامة، وهل وفى به أم لا؟ ومن لم يف بالعهد هو داخل في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف : ٢ ، ٣]، والإنسان إذا عاهد ولم يف فقد وقع في مخالفة قوله لفعله،ووقع كذلك فيما يبغضه الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف : ٣].

وعدم الوفاء بالعهد من صفات المنافقين، والذين هم في النار في أسفل السافلين، وتلك الشرذمة الحقيرة، شرذمة الغدر والكذب والخيانة والمكر .

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال :« **آية المنافق ثلاث :إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان** » متفق عليه [(١)] زاد مسلم [(٢)] «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**» .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن رسول الله – ﷺ – قال : «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها:إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**» متفق عليه [(٣)] .

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان حديث :٣٣ ومسلم في الإيمان حديث ١٠٧ .
(٢) ومسلم في الإيمان حديث :١٠٩ .
(٣) أخرجه البخاري في الإيمان حديث :٣٤، ومسلم في الإيمان حديث : ١٠٦ .

قال العلامة ابن عثيمين – رحمه الله – (شرح رياض الصالحين ٢/٩٩٠): وأما إخلاف الوعد فحرام، ويجب الوفاء بالوعد سواء وعدته مالاً، أو وعدته إعانة تعينه في شيء ، أو أي أمر من الأمور إذا وعدت فيجب عليك أن تفي بالوعد .

وفي هذا : ينبغي للإنسان أن يحدد المواعيد، ويضبطها فإذا قال لأحد إخوانه: أواعدك في المكان الفلاني، فليحدد الساعة الفلانية حتى إذا تأخر الموعود ، وأنصرف الواعد يكون له عذر، حتى لا يربطه، وقد اشتهر عند بعض السفهاء أنهم يقولون : أنا أواعدك ولا أخلفك، وعدي إنجليزي، يظنون أن الذين يوفون بالوعد هم الإنجليز، ولكن الوعد الذي يوفي به هو وعد المؤمن، ولهذا ينبغي لك أن تقول إذا وعدت أحداً، وأردت تؤكد :إنه وعد المؤمن حتى لا يخلفه، لأنه لا يخلف الوعد إلا منافق .ا.هـ

ونقض العهود والمواثيق التي أخذها الله علينا سبب من أسباب ضلال الأمم ، وهلاكها كما تقدم معنا في الفائدة السادسة .

قال الشيخ عمر سليمان الأشقر (صحيح القصص النبوي ص ١٠٧):

العهود التي أخذت على أوائل الأمم لازمة لمن جاء بعدهم، فعهد يوسف الذي أخذه على من كان معه لزم الذين جاؤوا من بعد، وكذلك عهود بني إسرائيل التي أخذت على أوائلهم من الله ، أو من رسلهم لازمة لهم، وكذلك العهود التي أخذت على رسولنا وصحابته .ا.هـ

الفائدة التاسعة:بعد أهل ذلك الزمان عن القبورية :

إن خفاء قبر يوسف على بني إسرائيل من علمائهم ، وعوامهم، ولم يعرفه إلا تلك العجوز ، وذلك بنص قول علمائهم :«ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز بني إسرائيل »، ففي هذا بيان أن قبور أشرف الناس وأكرمهم – وهم الأنبياء – لم تكن مشهورة بينهم، ولا يعرفون لها موقفاً، فضلاً عن وقوعهم في

دعائها ، أو تشييدها ، والبناء عليها .

خلافاً لما عليه القبوريون في هذا الزمان من اختراعهم قبور أنبياء مكذوبة في الشام ، وحضرموت وغيرها من المناطق ،فذاك يدعى قبر لصالح ، وآخر للخليل إبراهيم، وثالث لنوح وكل هذا من الأكاذيب ، وإليك ما زعمه القبور يون من نسبة قبور موهمة للأنبياء: ففي جامع دمشق قبر منسوب إلى هود ﷺ السلام، فهو لم يجئ إلى الشام أصلاً كما ذكر ذلك ابن تيمية (مجموع الفتاوى ج ٢٧ص ٤٩١) .

و آخر منسوب لهود في حضرموت، وفي حضرموت أيضاً قبر يزعم أنه لصالح - ﷺ - رغم أنه مات بالحجاز، وللنبي صالح قبر في يافا بفلسطين، وبها كذلك مزار لأيوب -ﷺ - ويونس ـ ﷺـ له ضريح في بلدة حلحول بفلسطين، وضريح آخر بقرية الموصل بالعراق، وثالث في غار بضيعة قرب نابلس بفلسطين، وكلها يدعى أن فيها قبره -ﷺ - وفي نابلس أيضاً ضريح الأسباط (١)، وليوسف - ﷺ ـ قبر في مسجد الخليل بمدينة الخليل بفلسطين، وفي المسجد نفسه ضريح إبراهيم - ﷺ - وكذا أضرحة تنسب إلى إسحاق ويعقوب - عليهما السلام - .

ورغم وجود مزار لداود - ﷺ - في قضاء كلز من أعمال حلب بسورية، إلا أن له مزاراً آخر في جنوب صيدا بلبنان، والتي في جانبها الشرقي مزار (شمعون) ، يزعم الناس أنه من أنبياء بني إسرائيل، وله نفسه مزار آخر في قضاء كلز أيضاً، وفي صيدا كذلك مزار (صيدون) يزعم الناس أيضاً أنه من أنبياء بني إسرائيل .

(١) قال ابن كثير: واعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك، ومن الناس من يزعم أنهم أوحي إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر. ويحتاج مُدّعي ذلك إلى دليل، ولم يذكروا سوَى قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وهذا فيه احتمال؛ لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم: الأسباط، كما يقال للعرب: قبائل، وللعجم: شعوب؛ يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل، فذكرهم إجمالا لأنهم كثيرون، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحي إليهم، والله أعلم.

وذكر الفيروز آبادي في تعريفه لبلدة نابلس تسمى (عورتا) :وقيل : بها قبر سبعين نبياً منهم : عزير ويوشع .[القاموس المحيط مادة(ع و ر)].

وفي حلب مسجد يعرف بمسجد النبي منسوب إلى نبي يدعى كالب بن يوفنا من سبط يهودا .

ونحو الجنوب إلى معان بشرقي الأردن يوجد مزار النبي هارون ولا يوجد عند أهل هذه الناحية مقام أشد إكراماً ولا أوفر آيات منه، كما يوجد في شرقي الأردن مقام النبي هو شع (يوشع) على قمة جبل بالقرب من السلط، وكما يوجد في غربى الكرك مزار النبي نوح، وهو مزار غني بالتحف والهدايا، وبادية البلقاء ، وموآب يوجد مقام (الخضر الأخضر)، كما يوجد ضريح آخر للخضر في مغارة بمعرة النعمان بشمال سورية بالشام، ويوجد كذلك ضريح آخر ليوشع -عليه السلام-، وفي معرة النعمان أيضاً يوجد ضريح النبي شيت، داخله ضريح يعتقد الناس أنه مدفون فيه، ولم يكن هذا القبر معروفاً قبل القرن الحادي العشر للهجرة، حيث رأى أحد ولاة الموصل في ذلك القرن مناماً يدل على موضع القبر فبنى الضريح، وفي دمشق ضريح يدعي الناس أنه لرأس يحيى ابن زكريا – عليهما السلام –يقع في قلب المسجد الأموي وله قبة وشباك.

وبعد هذا السرد إليك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في نسبة قبور الأنبياء (مجموع الفتاوى - (٢٧ / ٤٤٦)):

(حَتَّى قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيُّ : كُلُّ هَذِهِ الْقُبُورِ الْمُضَافَةِ إلَى الْأَنْبِيَاءِ لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْهَا إلَّا قَبْرُ النَّبِيِّ- ﷺ -وَقَدْ أَثْبَتَ غَيْرُهُ أَيْضًا قَبْرَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.)وقال (نفس المصدر ص ٤٤٤): (وَأَمَّا قُبُورُ الْأَنْبِيَاءِ : فَالَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ هُوَ قَبْرُ النَّبِيِّ – ﷺ – ، فَإِنَّ قَبْرَهُ مَنْقُولٌ بِالتَّوَاتُرِ ، وَكَذَلِكَ فِي صَاحِبَيْهِ وَأَمَّا " قَبْرُ الْخَلِيلِ " فَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى أَنَّ هَذَا

الْمَكَانَ الْمَعْرُوفَ هُوَ قَبْرُهُ وَأَنْكَرَ ذَلكَ طَائفَةٌ ، وَحُكِيَ الْإنْكَارُ عَنْ مَالك ، وَأَنَّهُ قَالَ :لَيْسَ في الدُّنْيَا قَبْرُ نَبيٍّ يُعْرَفُ إلَّا قَبْرُ نَبيِّنَا- ﷺ -لَكنَّ جُمْهُورَ النَّاس عَلَى أَنَّ هَذَا قَبْرُهُ ، وَدَلَائلُ ذَلكَ كَثيرَةٌ ، وَكَذَلكَ هُوَ عنْدَ أَهْلِ الْكتَاب . وَلَكنَّ لَيْسَ في مَعْرفَة قُبُورِ الْأَنْبيَاءِ بأَعْيَانهَا فَائدَةٌ شَرْعيَّةٌ ، وَلَيْسَ حِفْظُ ذَلكَ منْ الدِّين.

وإن من الأسباب التي كانت سبباً في هذه النسب المكذوبة الجهل ، والمصالح لأرباب السدانة، والاعتماد على الرؤى والأحلام ، ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٥٠):وكذلك مشاهد تضاف إلى بعض الأنبياء أو الصالحين بناء على أنه رؤى في المنام هناك ، ورؤية النبي – ﷺ – أو الرجل الصالح في المنام ببقعة لا يوجب لها فضيلة تقصد البقعة لأجلها ، وتتخذ مصلى، بإجماع المسلمين .وإنما يفعل هذا وأمثاله أهل الكتاب.

ومن خزعبلاتهم احتجاجهم بحديث موضوع مكذوب: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» فهذا الحديث كذب مفترى على النبي – ﷺ – بإجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة » مجموع الفتاوى ١/ ٣٥٦ .[١]

وعلى فرضية التسليم بصحة نسبة هذه القبور والمزارات، فإن ذلك لا يسوغ بأي حال ، عبادتها ، والاستغاثة بها ، وإعادة الوثنية الأولى باسم حب الأنبياء والصالحين .

نقض الشريعة الإسلامية لخرافات القبورية :

إن الله تعالى أرسل الرسل ، وبعث الأنبياء لرسالة محدودة، وهدف معلوم ألا وهو توحيده تعالى، وإفراده بالعبادة، والتبرئ والتخلي عن عبادة سواه .

(١) راجع(دمعة على التوحيد) كتاب البيان .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] ، فهذه وظيفة الرسل ، وعملهم الذي كلفهم الله به، وأرسلهم من أجله .

وإن مما ينقض هذه الدعوة المباركة، ويهدها من أساسها، ما يحدثه الخرافيون عند عتبات القبور، من إعطائها ما لا يجوز أن يكون إلا لله رب العالمين، وما تكاد السموات تتفطر منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن نداً .

وهو عين ما وقعت فيه الأمم الكافرة، والتي أهلكها الله بشركها بداية من قوم نوح وانتهاءً بكفار قريش .

قال تعالى : ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح : ٢٣] قال ابن عباس – ﷺ – :هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم :أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسموهم بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ، ونسي العلم عبدت . رواه البخاري[1] .

قال ابن القيم – رحمه الله - : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم، فأول شرك يقع في بني آدم كان سببه الغلو في الصالحين، والعكوف عند قبورهم حتى عبدوهم من دون الله تعالى .

وقال تعالى:﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم: ١٩ ، ٢٠]، جاءت هذه الآية بعد ذكر الله – عز وجل – لما رأى نبيه فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم : ١٨]، المعنى : أخبروني ما شأنها، وما حالها بالنسبة إلى هذه الآيات العظيمة ؟ ، إنها ليست بشيء،

(١) أخرجه البخاري – كتاب التفسير – باب ﴿ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ ﴾ :٤٩٢٠.

والاستفهام :للاستخفاف والاستهجان بهذه الأصنام .

وما ذكره الله من آلهة الكفار هي أشهر ما كانوا يعبدون من الأوثان ، أما (العزى) فهو صنم يعبده قريش ، وبنو كنانة ، وكان بنخلة بين مكة والطائف، و(مناة) وسميت بذلك لكثرة ما يراق فيها من الدماء، وكان هذا الصنم بين مكة والمدينة لهذيل ، وخزاعة وكان الأوس والخزرج يعظمونها ، ويهلون منها للحج، وأما (اللات) : فهو رجل كان يلت السويق [١] للحجاج .فلما مات عكفوا على قبره وعبدوه .

وقوله تعالى : ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ إشارة إلى أن التي تعظمونها ، وتذبحون عندها أنها أخرى بمعنى متأخرة، أي ذميمة حقيرة مأخوذة من قولهم : فلان آخر أي : ذميم، حقير، متأخر [٢]ولما فتح النبي - ﷺ - مكة أرسل إلى كل منها من يهدمها، ويقضي على ما شيد عليها .

وبعد هذا فما هو الفارق إذاً ؟ بين القبر الذي كان يعبده أهل الطائف وهو اللات ؟ وبين القبور التي تعبد اليوم كقبر الحسين، والبدوي، والسيدة زينب، ونفيسة، وابن علوان، والعيدروس، والجيلاني، والطيار وغيرها كثير من تلك القبور التي تعبد من دون الله تعالى .

بل زاد شرك بعض أهل زماننا على شرك أولئك، فإن الله أخبرنا عن كفار قريش ، وأنهم إذا حلت بهم الشدة، وضاق بهم الأمر دعوا الله تعالى ، ونسوا أوثانهم: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[العنكبوت : ٦٥]، وأما بعض مشركي زماننا ، ومع قوله لا إله إلا الله إلا إنه يلجأ للأولياء ، والقبور في الحالتين في الشدة والرخاء، وهو في حال الشدة أكثر منه لجوءً إليها في الرخاء .

(١) هو عبارة عن الشعير يحمص ثم يطحن ، ثم يخلط ، بتمر وشبهه ثم يؤكل(القول المفيد ١/ ٤٢٦).
(٢) انظر : القول المفيد شرح كتاب التوحيد (١/ ١٩٧ - ١٩٨).

فإذا أرادوا المطر دعوا الأولياء، وإذا عقمت المرأة دعوا الأولياء، وإذا كانوا في كرب ، أو نزل بهم خطب دعوا الأولياء ، وهلم جرا والله تعالى يقول : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل : ٦٢] .

ومن أمثلة ذلك : ما نقله الكاتب الأديب مصطفى المنفلوطي في كتابه النظرات قال : كتب إلي أحد علماء الهند كتاباً يقول فيه إنه أطلع على مؤلف ظهر حديثاً بلغة «التاميل» وهي لغة الهنود الساكنين بناقور ، وملحقاتها بجنوب مدارس، وموضوعه تأريخ حياة السيد عبد القادر الجيلاني، وذكر مناقبه ، وكراماته، فرأى فيه من الصفات ، والألقاب التي وصف بها الكاتب السيد عبد القادر ولقبه فيها صفات وألقاباً هي بمقام الألوهية أليق منها بمقام النبوة، فضلاً عن مقام الولاية، كقوله :سيد السماوات والأرض، والنفاع الضرار ، والمتصرف في الأكوان ، والمطلع على أسرار الخليقة ، ومحيي الموتى ، ومبرئ الأعمى ، والأبرص ، والأكمه وأمره من أمر الله ، وماحي الذنوب ، ودافع البلاء ، والرافع ، والواضع ، وصاحب الشريعة ، وصاحب الوجود التام ...إلى كثير من أمثال هذه النعوت ، والألقاب .

قلت : لقد قطر حبر قلمي دماً ، وهو ينقل هذه الكلمات الوثنية الصراح، وما انتهى من كتابتها إلا وقد علاني الضيق، وأُصبتُ بالغثاء ، والدوران، فنستغفرك اللهم ، سبحانك وبحمدك .

حماية النبي- ﷺ - للتوحيد :

لقد حارب النبي - ﷺ - بؤرة الشرك، وجاء لقمع الوثنية ،وبذلك طفحت سننه - عليه الصلاة والسلام - .

١- جاء في البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها-أن أم سلمة ذكرت

لرسول الله - ﷺ - كنيسة رأتها بالحبشة، وما فيها من الصور، فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح، بنو على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله »[(١)].

٢- وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما نزل برسول الله - ﷺ - طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا أغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(٢)] يحذروا ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً

٣- وفي مسلم عن جندب بن عبد الله- رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - قبل أن يموت بخمس يقول: «**ألا وإن من كان قبلكم، كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، وألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»[(٣)].

٤- ولأحمد عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»[(٤)].

وإنما كان أولئك شرار الخلق عند الله لأن عملهم هذا وسيلة إلى الشرك، ومدعاة لعبادة غير الله، ومن كان كذلك فهو من شرار الخلق، وهل بعد الكفر شر وذنب.

واتخاذ القبور مساجد له معنيان:

الأول: أن تبنى عليها مساجد، كما هو الحال الآن في كثير من مساجد المسلمين، وما تكاد ترى مسجدًا لهؤلاء القبوريين إلا وفيه قبر إما في قبلة المصلين، أو

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة - باب هل تبش قبور مشركي الجاهلية حديث :٤٢٧ ومسلم في المساجد - باب النهي عن بناء القبور حديث :٥٣٨.
(٢) أخرجه البخاري في الجنائز - باب ما يكره في اتخاذ المساجد على القبور حديث :١٣٣٠ ومسلم في المساجد - باب النهي عن بناء المساجد على القبور حديث :٥٣١.
(٣) رواه مسلم في المساجد - باب النهي عن بناء المساجد على القبور حديث :٥٣٢.
(٤) رواه أحمد في المسند وابن خزيمة (٧٦٣) وابن حبان (٦٩٥٧).

خلفهم ، أو بجانبهم وعن أيمانهم وشمائلهم ، ليس بينهم وبينه أي حاجز.

ويجب على من دفن ميتاً في مسجد نبشه ، وإخراجه من المسجد ، وعلى هذا يحرم الوصية بالدفن في المسجد كما يفعل بعضهم .

الثاني : أن تتخذ مكاناً للصلاة عندها ، وإن لم يبن المسجد، فكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، قال - ﷺ - في حديث جابر بن عبد الله :«**وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً** »[١].

ومن ذلك أيضاً تخصيص الدعاء عند تلك القبور، أو الصدقة والإنفاق لبركتها عندهم ، وفضل هذه الأشياء في ذلك المكان ، وكل هذا بدعة وضلالة هذا إذا كانت لله بهذه الحالة، فكيف إذا كانت هذه العبادات للولي ، والسيد ، والشريف، لا شك أن هذا من أعظم الضلال ، وأخنعه ولذلك بوب الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه (التوحيد) ـ باب فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ؟ .

٥- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « **اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » رواه أحمد [٢]وغيره

٦- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :«**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم** » رواه أبو داود [٣].

٧- وعن علي بن الحسن - رضي الله عنهما - أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي - ﷺ - فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال :ألا أحدثكم حديثاً

(١) أخرجه البخاري في التيمم حديث :٣٣٥ ، ومسلم في المساجد حديث:٥٢١.

(٢) أخرجه أحمد :٧١٩٧ ، ومالك في الموطأ حديث :٤١٩.

(٣) أخرجه أبو دادود - في المناسك - باب زيارة القبور - حديث :٢٠٤٢ وصححه الألباني .

سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله - ﷺ - قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين ما كنتم» رواه أبو يعلى والضياء في المختارة

وفي هذه الأحاديث حمايته - ﷺ - لجناب التوحيد، وبيان ما يخشاه - ﷺ - من أن يجعل قبره وثناً يعبد، كما تعبد الأصنام، وبين أن هذا الفعل مما يغضب الله تعالى.

وتأمل إلى علي بن الحسين - رضي الله عنهما - وكيف نهى ذلك الرجل عن الدعاء في تلك الفرجة عند قبره - ﷺ - .

لنعلم أن السلف من أهل البيت وغيرهم، كانوا ينهون عن ذلك، وأمثاله في القبور، واعتقاد الخاصية للدعاء، أو الصدقة، أو قراءة القرآن، أو الصلاة، أو غيرها من العابدات وقوله: «لا تجعل قبري عيداً» أي مكان تتكرر زيارة الناس إليه في وقت معلوم «مقيد بسنة أو شهر أو أسبوع فإنه - ﷺ - نهى عن ذلك وإنما يزار لسبب، كما لو قدم الإنسان من سفر، فذهب إلى قبره فزاره، أو زار يتذكر الآخرة كغيره من القبور»؛ القول المفيد ١/ ٤٤٧.

وإذا كان هذا في حق قبره - ﷺ - وهو خير الناس، فكيف بقبر غيره؟ فهو من باب أولى أن تترك تلك الخرافات، والبدع عند قبورهم.

وقد تقرر في الشريعة تحريم الدعاء عند القبور لله رب العالمين، باعتقاد الخصوصية فكيف إذا دعاه من دون الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] ويحرم كذلك أن يذبح لتلك القبور، أو عندها لاعتقاد الفضل، فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: حدثني رسول الله - ﷺ -

بأربع كلمات :«لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض »رواه مسلم [(١)].

وقد بين الله لنا أن جميع ما يفعله الإنسان من عبادات كانت ذبحاً ، أو نذراً، أو دعاءً ، أو صلاة وما إليه ، يجب أن تكون لله وحده لا شريك له وصرفها شرك .

قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] .

فائدة :

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :« فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر » [(٢)] .

حكى ابن بطال عن غيره أن الحكمة في أَنَّهُ لَمْ يَطْلُب دُخُولَهَا لِيُعْمِيَ مَوْضِع قَبْره لِئَلَّا تَعْبُدهُ الْجُهَّال ا.هـ [(٣)].

الفائدة العاشرة : استثمار أبواب الخير إذا فتحت :

إن عجوز بني إسرائيل كانت امرأة عاقلة من نوادر النساء، فإنها لما رأت حاجة موسى ومن معه إلى ما عندها من العلم ، والذي استفردت به، عندها استثمرت ذلك الباب ، واستغلته لتحقيق أمنيتها ، وتصل إلى هدفها، والذي سعت إليه عمراً، فما كان لمثلها أن تضيع تلك الفرصة الغالية، فقالت :«والله لا أفعل حتى أكون معك في الجنة ».

والنصوص الواردة في الشرع باستثمار أبواب الخير ، واغتنام الأوقات،

---

(١) في كتاب الأضاحي - باب تحريم الذبح لغير الله .
(٢) أخرجه البخاري في الجنائز - باب من أحب أن يدفن في الأرض المقدسة أو نحوها حديث :١٣٢٩.
(٣) الفتح (٣/ ٢٠٧).

وانتهاز الفرص أكثر من أن تحصى ،ومن ذلك قوله تعالى :﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ [الشرح: ٧] ، وقال تعالى:﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٥].

وعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله – ﷺ –قال :« **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس :الصحة والفراغ** » رواه البخاري والترمذي وابن ماجة [(١)].

وعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال رسول الله – ﷺ – :«**اغتنم خمساً قبل خمس** : حياتك قبل مماتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك و شبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك » [(٢)].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال رسول الله – ﷺ – :«**بادروا بالأعمال ستاً :طلوع الشمس من مغربها، والدخان، ودابة الأرض والدجال، وخويصة أحدكم وأمر العامة** » [(٣)].

وفي مسلم أيضاً عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل** » [(٤)].

والمتأمل في حال النبي – ﷺ – يجد أن اهتبال الفرص ، واغتنام الأوقات، كان هدياً راسخاً ، وسمة ثابتة له– ﷺ – **ومن شواهد ذلك :**

عن المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – قال : «إن كان النبي – ﷺ – ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له : ....فيقول :«**أفلا أكون عبداً شكوراً** ».

---

(١) أخرجه البخاري في الرقائق – باب الصحة والفراغ حديث :٦٤١٢، والترمذي في الزهد – باب الصحة والفراغ حديث:٢٣٠٤، وابن ماجة في الزهد – باب الحكمة حديث :٤١٧٠.
(٢) السنن الكبرى للنسائي – كتاب المواعظ ـ حديث:١١٤٠٥
(٣) أخرجه مسلم في الفتن – باب من أحاديث الدجال حديث :٢٩٤٧.
(٤) أخرجه مسلم في الإيمان – باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن حديث :١١٨.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال :«إن كنا لنعد لرسول الله- ﷺ - في المجلس الواحد مائة مرة : رب اغفر لي وتب عليّ ، إنك أنت التواب الرحيم ».

وعن علقمة قال : قلت لعائشة - رضي الله عنها -:هل كان رسول الله - ﷺ - يختص من الأيام شيئاً ؟ قالت :لا، كان عمله ديمة، وأيكم يطيق ما كان رسول الله - ﷺ - يطيق» .

استثمار السلف لأبواب الخير :

لقد عظمت مراعاة السلف لذلك فشمروا عن ساعد الجد في استثمار الفرص ، واهتبال اللحظات، ومن شواهد ذلك :

١- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :« **من أصبح منكم اليوم صائماً ؟** » قال أبو بكر: أنا ، قال : « **فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟** » قال أبو بكر: أنا ، قال :« **فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟** »قال أبو بكر: أنا ، قال : «**فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟** » قال أبو بكر: أنا ، فقال رسول الله - ﷺ - : « **ما اجتمعن في امرئ ، إلا دخل الجنة**» (١).

٢- عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -قال :أمرنا رسول الله - ﷺ - أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال : فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله - ﷺ - : **ما أبقيت لأهلك، قلت :مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك قال : أبقيت لهم الله ورسوله، قلت : والله لا أسبقه إلى شيء أبداً**» (٢) .

٣- وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي - ﷺ - يوماً : «**لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صلاة، فينسى من مقالتي**

(١) رواه مسلم في الزكاة -باب من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع البر- حديث:١٠٢٨ .
(٢) رواه الترمذي في المناقب - باب مناقب أبي بكر وعمر حديث :٣٦٧٥.

شيئاً أبداً »فبسطت نمرة ليس على ثوب غيرها حتى قضى النبي - ﷺ - مقالته ثم جمعتها إلى صدري [1].

٤- وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه ، و نقص فيه أجلي ، ولم يزد فيه عملي .

وقال :إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ، ولا عمل الآخرة .

٥- وقيل لنافع مولى ابن عمر :ما كان يصنع ابن عمر في منزله ؟ قال : لا تطيقونه، الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما.

وقال :كان ابن عمر - رضي الله عنهما - لا يصوم في السفر،ولا يكاد يفطر في الحضر.

٦- وكان ابن عباس- رضي الله عنهما- يقول :لما توفي رسول الله - ﷺ - قلت لرجل من الأنصار : هلم نسأل أصحاب رسول الله - ﷺ - فإنهم اليوم كثير، فقال : وا عجباً لك يا ابن عباس:أترى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله من ترى ؟ فترك ذلك، وأقبلت على المسألة ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتيه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه ، فتسفي الريح على التراب، فيخرج فيراني، فيقول : يا ابن عم رسول الله ألا أرسلت إلي فأتيك ؟ فأقول :أنا أحق أن أتيك فأسألك . قال : فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس علي، فقال : هذا الفتى (أعقل مني) .

٧- قال الحسن :«أدركت أقوامًا كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم ».

٨- وقال الفضيل بن عياض :« أدركت أقواماً ما كانوا يستحبون من الله

---

(١) أخرجه البخاري في الحرث والمزارعة - باب ما جاء في الفرس - حديث :٢٣٥٠، ومسلم في فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي هريرة الدوسي حديث :٢٤٩٢.

سواد الليل، ومن طول الهجعة، إنما هو على الجنب، فإذا تحرك قال : ليس هذا لك، قومي خذي حظك من الآخرة ».

٩- قال حماد بن أبي حذيفة :«إن مولاة كانت لداود الطائي تخدمه، فقالت: لو طبخت لك دسما تأكله فقال : وددت ، فطبخت له دسما ثم آته به، فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان ؟قالت : على حالهم، قال :اذهبي بهذا إليهم، فقالت:أنت لم تأكل أدماً منذ كذا وكذا، فقال :إن هذا إذا أكلوه صار إلى العرش، وإذا أكلته صار إلى الحشو فقالت له : يا سيدي :أما تشتهي الخبز ؟ قال :يا داية ! بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية »..

وإذا كان الشرع والعقل يدعوان إلى استثمار الأوقات ، واغتنام الفرص، وكان العمر قصيراً، والأحوال تتبدل، والأزمنة تمضي دون أن تعود، والحاجة جلية إلى إتيان المرء أعمالاً تعود عليه بالفلاح ، وعلى أمته بالرفعة والعزة، فلماذا والحالة هذه؟ يتوانى كثير من باذلي الخير ، ودعاة الإصلاح عن اهتبال الفرص الكثيرة السانحة أمامهم، والتي تعود على هذا الدين ، وهذه الأمة المباركة بالنصر والتمكين؟! [1].

الفرص تزول :

يذكر أن أحد كبار مشاهير المال في عصرنا سئل في إحدى المقابلات كيف أصبحت مليار دير ؟! ، فأخرج الثري من جيبه شيكاً، وناوله لسائله، قائلاً له:اكتب في هذا الشيك المبلغ الذي تريده و هو لك ! وتحت وطأة الخجل، وصدمة المفاجأة، قال الإعلامي : عفواً فإني لا أقصد ذلك، وعندها استعاد الثري شيكه، وقال لسائله :لقد حانت أمامك فرصة لتصبح غنياً فلم تستثمرها، كبقية الناس الذين تلوح أمامهم فرص ثمينة دون أن يستثمروها،

(١) من مقال (الفرص تزول)لفيصل البعداني .

و أما أنا فأفترق عنكم ، أني انتهزت الفرص التي سنحت لي فصرت – كما تقول – مليار دير.

قال البارودي في ديوانه :

بادر الفرصة واحذر فواتها ∴ فبلوغ العز في نيل الفرص
فابتدر واعلم أن من ∴ بادر الصيد مع الفجر قنص

الفائدة الحادية عشرة :أخذ العلم ممن جاء به

لم يمنع نبي الله موسى – عليه الصلاة والسلام – وجود العلم عند عجوز من بني إسرائيل، أن يسألها عنه ، ويقبله منها ، وفيه التواضع في قبول الحق، وأخذ العلم ممن هم أقل علماً ، ومكانة فقد ينفرد المفضول عن الفاضل بشيء ما .

قال الخطيب البغدادي : (الرحلة في طلب الحديث ص ١٠٦ - ١٠٧): قال بعض أهل العلم إن فيما عاناه موسى من الدأب ، والسفر والصبر عليه ، من التواضع والخضوع للخضر بعد معاناة قصده مع محل موسى من الله ، وموضعه من كرامته ، وشرف نبوته دلالة على ارتفاع قدر العلم ، وعلو منزلة أهله ، وحسن التواضع لمن يلتمس منه ويؤخذ عنه ، ولو ارتفع عن التواضع لمخلوق أحد بارتفاع درجة ، وسمو منزلة لسبق إلى ذلك موسى ، فلما أظهر الجد والاجتهاد، والانزعاج عن الوطن ، والحرص عن الاستفادة مع الاعتراف بالحاجة إلى أن يصل من العلم إلى ما هو غائب عنه دل على أنه ليس في الخلق من يعلو على هذه الحال ، ولا يكبر عنها.ا.هـ

ومن تواضع نبي الله موسى – عليه السلام – في الرحلة في طلب العلم والازدياد من العلم، واغتنام لقاء الفضلاء ، والعلماء وإن بعدت أقطارهم .

قصته مع الخضر - عليه السلام - والتي أخبرنا الله خبرها في سورة الكهف قال الإمام القرطبي - رحمه الله- :ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول، والفضل لمن فضله الله، فالخضر إن كان وليا فموسى أفضل منه، لأنه نبي والنبي أفضل من الولي، وإن كان نبيا فموسى فضله بالرسالة والله أعلم.

تفسير القرطبي(٦/٣٥٥) :

قال ابن حجر وهو يذكر بعض الفوائد المتعلقة بقصة موسى مع الخضر : لم يمنعه - موسى - بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم ، وركوب البحر لأجله، الفتح (١/ ١٦٨)، وقال في (نفس المصدر ص١٦٩) :(وفي الحديث ...التواضع في كل حال ، ولهذا حرص موسى على الالتقاء بالخضر - عليهما السلام - وطلب التعلم منه، تعليماً لقومه أن يتأدبوا بأدبه، وتنبيهاً لمن زكى نفسه أن يسلك مسلك التواضع .)

وقصة موسى مع الخضر في سورة الكهف الآية ٦٠ إلى الآية ٨٢ .

وفي قصة سليمان - عليه السلام - مع الهدهد في سورة النمل قال الهدهد لسليمان : ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل : ٢٢].

قال القرطبي (٧/٤٥٠): وفي الآية دليل على أن الصغير يقول للكبير والمتعلم للعالم عندي ما ليس عندك إذا تحقق ذلك وتيقنه.ا.هـ

وكذلك أخذ الكبير من الصغير فسليمان - عليه السلام - لما تيقن من خبره في قصة قوم سبأ، حدث ما قصه الله علينا في سورة النمل وكان الهدهد سببا في إسلام ملكتهم ، ودخولهم في دين الله تعالى .

وقبول الحق ليس مقتصراً على الصغير، أو عوام الناس من المسلمين بل في شريعتنا أخذ الحق وقبوله ممن جاء به ، ولو كان كافراً يهودياً ، أو نصرانياً ،

أو حتى الشيطان .

«فالحق ضالة المؤمن أنا وجده أخذ بها » وإليك بعض النصوص الدالة على ذلك في شريعتنا .

١- تصديق الله لقول ملكة سبأ، وإقراره وهي آنذاك على الكفر قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل : ٣٤] .

قال ابن عباس :« قالت بلقيس : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ قال الرب - عز وجل - : ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ » .

٢- عن قتيلة :أن يهودياً أتى للنبي - ﷺ -فقال :إنكم تشركون تقولون :ما شاء الله وشئت، وتقولون والكعبة، فأمرهم النبي - ﷺ -«**إذا أرادوا أن يحلفوا ، أن يقولوا** :ورب **الكعبة، وأن يقولوا** : **ماشاء الله ثم شئت** » رواه النسائي .

٣- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال :وكلني رسول الله- ﷺ - بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت :لأرفعنك إلى رسول الله - ﷺ -فقص الحديث فقال :إذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي، لم يزل معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي - ﷺ -:«**صدقك وهو كذوب** » رواه البخاري [1] .

قال الحافظ ابن حجر الفتح (٤٨٩/٤):وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم أن الشيطان قد يعلم ما ينتفع به المؤمن ، وأن الحكمة قد يتلاقاها من الفاجر فلا ينتفع بها وتؤخذ منه فينتفع بها.

قال الحافظ ابن عبد البر- رحمه الله- «التمهيد» (١٠٦/٢٠):

(وسمعت غير واحد من شيوخي يذكر أن الغازي بن قيس لما رحل إلى

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن - باب فضل سورة البقرة حديث:٥٠١٠.

المدينة سمع من مالك وقرأ على نافع القاري ، فبينما هو في أول دخوله المدينة في مسجد رسول الله - ﷺ - ، إذ دخل ابن أبي ذئب فجلس ولم يركع فقال له الغازي: قم يا هذا فاركع ركعتين فإن جلوسك دون أن تحيي المسجد بركعتين جهل ، أو نحو هذا من جفاء القول ، فقام ابن أبي ذئب فركع ركعتين وجلس، فلما انقضت الصلاة أسند ظهره وتحلق الناس إليه فلما رأى ذلك الغازي بن قيس خجل ، واستحيا وندم وسأل عنه فقيل له: هذا ابن أبي ذئب أحد فقهاء المدينة وأشارفهم فقام يعتذر إليه فقال له ابن أبي ذئب يا أخي لا عليك أمرتنا بخير فأطعناك. وبالله التوفيق).

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله- في «إعلام الموقعين» (١ / ١٠٤-١٠٥):

(فعلى المسلم أن يتبع هدى النبي - ﷺ - في قبول الحق ممن جاء به من ولي، وعدو ، وحبيب ، وبغيض ، وبر ، وفاجر ، ويرد الباطل على من قاله كائناً من كان.

قال عبد الله بن صالح: ثنا الليث بن سعد ، عن ابن عجلان ، عن ابن شهاب: أن معاذ بن جبل كان يقول في مجلسه كل يوم قلما يخطئه أن يقول ذلك (الله حكم قسط هلك المرتابون إن وراءكم فتناً يكثر فيها المال ، ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن ، والمنافق ، والمرأة ، والصبي ، والأسود ، والأحمر، فيوشك أحدهم أن يقول: قرأت القرآن فما أظن أن يتبعوني حتى ابتدع لهم غيره ، فإياكم وما ابتدع فإن كل بدعة ضلالة ، وإياكم وزيغة الحكيم فإن الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق ، فتلقوا الحق عن ما جاء به فإن على الحق نوراً ، قالوا: وكيف زيغة الحكيم؟ قال: هي الكلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ما هذا؟! فاحذروا زيغته ولا يصدنكم عنه فإنه يوشك أن يفيء وأن يراجع الحق ، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة).

وقال رحمه الله في «مدارك السالكين» (٣٣٧/٢):

((لا تصح لك درجة التواضع حتى تقبل الحق ممن تحب وممن تبغض ، فتقبله من عدوك كما تقبله من وليك)).

قال السعدي (التفسير :١٨٧): فلو كان كافراً أو مبتدعاً، فإنه يجب العدل فيه وقبول ما يأتي به من الحق ، لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله ، فإن هذا ظلم للحق .

وفي شرح كتاب التوحيد للعلامة العثيمين - رحمه الله - عند حديث اليهودي المتقدم يقول الشيخ :ويستفاد من الحديث :

١- أن النبي - ﷺ - لم ينكر على اليهودي مع أن ظاهر قصده الذم ، واللوم للنبي - ﷺ - وأصحابه لأن ما قاله حق .

٢- مشروعية الرجوع إلى الحق وإن كان من نبه عليه ليس من أهل الحق . القول المفيد (٢/ ٩٢٢) .

وفي شرح كتاب التوحيد للعلامة الفوزان عند حديث الطفيل في رؤياه :

الفائدة الثانية :فيقبل الحق ممن جاء به ولو كان عدواً ، لأن الحق ضالة المؤمن، والرجوع إلى الحق فضيلة .

٣- وقال شيخنا مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - :يجب عليك أن تقبل الحق ممن أتى به، وهو حق، يجب أن تقبل الحق ممن أتى به، والنبي - ﷺ - قد قال في شأن الشيطان :« صدقك وهو كذوب ؟»وقال أيضاً كما في سنن النسائي بإسناد صحيح عن قتيلة - رضي الله عنها - قالت : جاء اليهود إلى رسول الله - ﷺ -فقالوا: إنكم تنددون و تقولون ما شاء الله وشاء محمد، وتقولون : والكعبة، فقال النبي - ﷺ - :«إذا حلفتم فقولوا ورب الكعبة وقولوا ما شاء

ثم شاء محمد »وهكذا من حديث الطفيل بن عمرو في مسند أحمد وفي سنن ابن ماجة نحو هذا، فالنصيحة والحق يقبل ممن جاء به ، وما فرق بين المسلمين إلا الجهل والسياسات . ا.هـ (من إجابة السائل عن أهم المسائل ص:١٦٨) .

رد الحق من الخصم والمخالفين من صفات اليهود والنصارى :

لقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم عن اليهود والنصارى، وإن كلاً منهم ينكر ما عند الآخر من الحق .

قال تعالى :﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[البقرة :١١٣] فأهل الكتاب لا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم قال تعالى : ﴿ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة :٩١] فجعل اليهود والنصارى بغضهم لبعضهم ولغيرهم أن رفضوا الحق الذي عند غيرهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٣):

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ فأخبر أن كل واحدة من الأمتين تجحد كل ما الأخرى عليه ، وأنت تجد كثيرًا من المتفقهة ، إذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئًا ولا يعدهم إلا جهالًا ضلالًا ، ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئا ، وترى كثيرًا من المتصوفة ، والمتفقرة لا يرى الشريعة والعلم شيئا ، بل يرى أن المتمسك بها منقطعا عن الله ، وأنه ليس عند أهلها مما ينفع عند الله شيئا.

وإنما الصواب : أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق ، وما خالف الكتاب والسُنة من هذا وهذا : باطل . ا.هـ.

قال العلامة ابن عثيمين معلقاً على كلام شيخ الإسلام :

(هذا الذي قاله شيخ الإسلام - رحمه الله - هو الحق وهو أن نقبل الحق من أي طائفة سواء كان المتصوفة ، أو المتفقهة وعلماء الشريعة ، وأما أن لا نقبل من هؤلاء شيئاً، ونقول : كل فعلهم خطأ، فليس بصحيح والإمام أحمد - رحمه الله- كان يجلس إلى بعض المتصوفة ليلين قلبه فلا هذا ولا هذا، خذ الحق من أي إنسان كان سواء من المتصوف أو المتفقهة أو غير ذلك، ومشابهة هؤلاء لليهود والنصارى أن علماء الشريعة لا يرون المتصوفة شيئاً، وهؤلاء المتصوفة لا يرون علماء الشريعة شيئاً .

وأما التعلم على أيديهم - يعني المتصوفة - ربما يغريهم ويجعلهم يستمرون على ما هم عليه، ويغر غيرهم أيضاً، ويقولون :فلان يجلس عند فلان، ويتلقى عن فلان ..

أما قبول الحق فأقبل الحق من أي إنسان ، حتى من اليهودي والنصراني، وحتى من الشيطان، حتى من المشركين .ا.هـ (من فتح المعين في التعليق على اقتضاء الصراط المستقيم :ص٢٣).

الفائدة الثانية عشرة : الأنبياء لا يعلمون الغيب:

في سؤال موسى -عليه السلام- علماء بني إسرائيل عن سبب إضلالهم للطريق، وعن موضع قبر يوسف وعمن يعلمه، وقوله للعجوز :«دليني على قبر يوسف » كان هذا مما يبين أن الأنبياء لا يعلمون الغيب، ولو كان موسى-عليه السلام- يعلم الغيب لما حدث منه كل تلك الاستفسارات، ومن ثم استدعاء العجوز .

وهذا ما يجب على المؤمن أن يعتقده ، أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى فهو القائل عز وجل : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ

وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام : ٥٩]، وقال تعالى : ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام : ٧٣]، وقال تعالى :﴿ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس:٢٠]،وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود : ١٢٣]، وقال تعالى :﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد : ٩]، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الكهف : ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥] ، فهذه الآيات وغيرها كثير تدل دلالة لا خفاء فيها على أن علم الغيب من اختصاص المولى – عز وجل – .

والنبي – ﷺ – وهو خير الناس يؤمر في غير ما آية فيقول الله له : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ [الأنعام : ٥٠]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف : ١٨٨]، وقال نوح – عليه الصلاة والسلام –: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ [هود : ٣١] والله عز وجل يقول في كتابه الكريم : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧] .

قال ابن كثير (٤/٤٦٢): هذه كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهكذا قال هاهنا: إنه يعلم الغيب والشهادة، وإنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه؛ ولهذا قال: ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ وهذا يعم الرسول

الملكي والبشري.

وقال القرطبي(١٠/١٩٨): قال العلماء - رحمة الله عليهم -: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم.هـ.

وفي البخاري في كتاب الاستسقاء عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال رسول الله - ﷺ - :«مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾» [(١)].

قال قتادة: أشياء استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً،ولا نبياً مرسلاً.

وفي حديث جبريل الطويل عندما قال :«**فأخبرني عن الساعة ؟**»قال:«**ما المسئول بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها..**» رواه البخاري ومسلم [(٢)].

وعن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: جاء النبي - ﷺ -يدخل حين بني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف، ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذا قالت إحداهن :فينا نبي يعلم ما في غد، فقال :«**دعي هذا وقولي الذي كنت تقولين**» رواه البخاري [(٣)].

والله تعالى يقول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات : ٤٢ - ٤٤].

---

(١) أخرجه البخاري - كتاب الاستسقاء - باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله تعالى حديث:١٠٣٩.

(٢) أخرجه البخاري - كتاب الإيمان - باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان - حديث:٥٠ و مسلم - كتاب الإيمان - حديث:٨.

(٣) رواه البخاري في النكاح - باب الدف في النكاح والوليمة حديث:٥١٤٧.

وقال تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف : ١٨٧] .

وسليمان – عليه السلام – يخاطبه الهدهد فيقول : ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل : ٢٢] فقال له : ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النمل : ٢٧].

فلو كان يعلم الغيب لما خفيت عليه مملكة سبأ وعبادتهم لغير الله. ولما احتاج إلى التثبت ، والتنقيب عن الأمر

حكم من يدعي علم الغيب :

لقد ذكر العلماء، وقرر أهل العلم ، أن من ادعى علم الغيب فقد كفر ، لأنه مكذب بالقرآن الكريم، والآيات الكثيرة في اختصاص المولى بعلم الغيب .

وفي مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : من زعم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل : ٥٦] (١).

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – :هذه الخمسة لا يعلمها إلا الله ولا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فمن ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه فقد كفر بالقرآن، لأنه خالفه .

وقال القرطبي(٤/٣٠٢): قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده فمن قال: إنه ينزل الغيث غدا وجزم فهو كافر، أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا وكذلك من قال: إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر.

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان – باب معنى قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ حديث:١٧٧ .

الكهانة والعرافة من ادعاء علم الغيب :

جاء في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت :سأل رسول الله- ﷺ - أناس عن الكهان، فقال :« إنهم ليسوا بشيء »فقالوا : يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً بشيء فيكون حقاً، فقال رسول الله :«تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون معها مائة كذبة »(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - ﷺ - :«**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد - ﷺ -**»(٢).

فإذاً من صدق الكاهن بادعاه علم الغيب فقدكفر ، فكيف بالكاهن نفسه، قال القرطبي(٤/ ٣٠٣): ومن هذا الباب (أيضا) ما جاء في صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي ـ ﷺ ـ أن النبي - ﷺ - قال:« **من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة** »(٣).

والعراف هو الحازر والمنجم الذي يدعي علم الغيب وهي من العرافة وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم، وأسباب معتادة في ذلك وهذا الفن هو العيافة (بالياء). وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة، قاله القاضي عياض والكهانة: ادعاء علم الغيب.

الفائدة الثالثة عشرة :معجزتان لنبي الله يوسف- عليه السلام - بعد موته:

والحديث عن هذه الفائدة من وجوه :

أولاً : يوسف - عليه السلام - هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

(١) مسلم في السلام - باب تحريم الكهانة - حديث:٢٢٢٨.

(٢) أخرجه أبو داود في الطب - باب في الكاهن - حديث :٣٩٠٤، وابن ماجة في الطهارة - باب النهي عن إتيان الحائض - حديث :٦٣٩.

(٣) مسلم في السلام - باب تحريم الكهانة - حديث :٢٢٣٠

-عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام - .

والنبي - ﷺ - يقول كما جاء في البخاري من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم :يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم - عليهم السلام - »(١) .

وفي البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سئل رسول الله - ﷺ - أي الناس أكرم ؟ قال :«**أكرمهم عند الله أتقاهم** » قالوا :ليس عن هذا نسألك، قال:«**أكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن خليل الله** »قالوا :ليس عن هذا نسألك قال :«**فعن معادن العرب تسألوني ؟**» قالوا : نعم، قال :«**فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا** » (٢).

قال الحافظ ابن حجر (الفتح ٣٦١/٨): وَهُوَ دَالٌّ عَلَى فَضِيلَة خَاصَّة وَقَعَتْ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَام لَمْ يُشْرِكهُ فِيهَا أَحَد ، وَمَعْنَى قَوْله أَكْرَمُ النَّاس أَيْ مِنْ جِهَة النَّسَب ، وَلَا يَلْزَم مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُون أَفْضَل مِنْ غَيْره مُطْلَقًا ا.هـ.

قال الإمام النووي - رحمه الله - (١١١/١٥- ١١٢) عند حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : قَالَ الْعُلَمَاء: وَأَصْل الْكَرَم كَثْرَة الْخَيْر، وَقَدْ جَمَعَ يُوسُف - ﷺ - مَكَارِم الْأَخْلَاق ، مَعَ شَرَف النُّبُوَّة ، مَعَ شَرَف النَّسَب ، وَكَوْنه نَبِيًّا اِبْن ثَلَاثَة أَنْبِيَاء مُتَنَاسِلِينَ أَحَدهمْ خَلِيل الله ـ ﷺ ـ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ شَرَف عِلْم الرُّؤْيَا ، وَتَمَكُّنه فِيهِ ، وَرِيَاسَة الدُّنْيَا ، وَمُلْكهَا بِالسِّيرَة الْجَمِيلَة ، وَحِيَاطَته لِلرَّعِيَّة، وَعُمُوم نَفْعه إِيَّاهُمْ ، وَشَفَقَته عَلَيْهِمْ ، وَإِنْقَاذه إِيَّاهُمْ مِنْ تِلْكَ السِّنِينَ. وَاَللَّه أَعْلَم.

ويوسف عليه السلام هو سيد السادة النجباء ، السبعة الأتقياء، المذكورين في الصحيحين عن خاتم الأنبياء في قوله - عليه الصلاة والسلام - في حديث

(١) أخرجه البخاري في التفاسير حديث:٤٦٨٨.

(٢) أخرجه البخاري - في التفسير حديث :٤٦٨٩ ومسلم في الفضائل - باب من فضائل يوسف - عليه السلام - حديث:٢٣٧٨.

أبي هريرة – رضي الله عنه – :«**سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل معلق قلبه بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال : إني أخاف الله رب** » (١).

فقد راودته امرأة العزيز عن نفسه ، وطلبت منه ما لا يليق بحاله ، ومقامه، وهي في غاية الجمال ، والمال ، والمنصب ، والشباب، وكيف غلقت الأبواب عليها وعليه ، وتهيأت له، وتصنعت، ولبست أحسن ثيابها، وأفخر لباسها، وهي مع هذا كله امرأة الوزير قال ابن إسحاق: وبنت أخت الملك الريان بن الوليد صاحب مصر وهذا كله مع أن يوسف ـ عليه السلام ـ شاب بديع الجمال والبهاء، إلا أنه نبي من سلالة الأنبياء، فعصمه ربه عن الفحشاء ، وحماه عن مكر النساء (٢).

وقد كان يوسف – عليه السلام – في غاية الحسن والجمال، يخبرنا بذلك نبينا – عليه الصلاة والسلام – فيقول في حديث الإسراء :«**فمررت بيوسف إذا هو قد أعطي شطر الحسن** » (٣) وفي سورة يوسف يظهر جماله ، وما أعطي من الحسن الآخذ في عدة مواقف :

أ- قال تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [يوسف : ١٩] .

قال القرطبي (٥/٤٥٤):فتعلق يوسف بالحبل، فلما خرج إذا غلام كالقمر ليلة

---

(١) أخرجه البخاري في الآذان – باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة حديث:٦٦٠ ، ومسلم في الزكاة – باب فضل إخفاء الصدقة حديث:١٠٣١ .

(٢) البداية والنهاية (١/ ١٨٨).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان – باب الإسراء برسول الله حديث :١٦٢ ..

البدر، أحسن ما يكون من الغلمان .

ب - : فتنة امرأة العزيز بيوسف - ﷺ - فقد عشقته لما حباه الله من الجمال، وحسن الخلقة : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ ﴾ [يوسف : ٢٣].

ج - : خبر النسوة معه - ﷺ - وتقطيع الأيدي قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ ﴾ [يوسف : ٣١] .

فحصل تقطيع اليد لشغل قلوبهن بجمال يوسف - ﷺ - «وأكبرنه لجماله الفائق ، وحسنه الباهر ،وأدبه الوفير ، وعفته ، ووقاره ، وفرط حيائه »[١] .

ولما أستقر عندهن حسن صورة الملائكة،وأنهم فوق البشر في جمالهم وحسنهم وصفن يوسف بأنه من الملائكة .

ثانياً :يوسف- ﷺ- كان قبل موسى- ﷺ - وحديث العجوز صريح في ذلك، والله -عز وجل- يقول عن نبيه موسى- ﷺ - وقيل هو من تمام وعظ مؤمن آل فرعون -﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤ ﴾ [غافر : ٤٣] .

قال ابن كثير (٨٦/٤): يعني: أهل مصر، قد بعث الله فيهم رسولا من قبل موسى، وهو يوسف، -ﷺ-، كان عزيز أهل مصر، وكان رسولا يدعو إلى الله أمته بالقسط، فما أطاعوه تلك الطاعة إلا لمجرد الوزارة ، والجاه الدنيوي ا.هـ .

(١) من (تفسير سورة يوسف) لشيخنا مصطفى العدوي ـ حفظه الله تعالى ـ.

والبينات قيل هو: تأويل الرؤيا، ففي الدر المنثور (٩/ ٥):أخرج ابن المنذر عن ابن جريج - رضي الله عنه - في قوله : ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ قال: رؤيا يوسف - عليه السلام - .

وقيل كان بين يوسف وموسى - عليهما السلام - أكثر من أربعة قرون والله تعالى أعلم .

ثالثاً : وأما المعجزتان في هذا الحديث ليوسف - عليه السلام - بعد موته .

فالأولى : عند نسيان بدنه ضلوا الطريق، ولم يهتدوا إليها بسبب تركهم لجثمان يوسف - عليه السلام - .

والثانية : كما أنهم ضلوا الطريق بسبب تركهم لجثمانه وعدم وفائهم بوعدهم معه - عليه السلام - فكذلك حين أخرجوه من قبره إلى الأرض أضاء لهم الطريق كوضح النهار وهم آنذاك في الليل ، وظلمته [1].

الفائدة الرابعة العاشرة : علة الهمة في طلب الجنة:

وهذا من أعظم الدروس في هذه القصة وهو ما ضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - به المثل لذلك الأعرابي، وهو محل الشاهد .

فالأعرابي لم يطلب شيئاً محرماً، بل طلب شيئاً من ضرورات الحياة، ومع هذا وجهه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى مقام أرفع ، ومبتغى أعلى، ومنزلة أسمى ، فالمرأة العجوز استغلت حاجة القوم إليها ،ولما عندها من العلم، فقالت :«والله لا أفعل حتى تعطيني حكمي، قال : وما حكمك ؟ قالت : أكون معك في الجنة » فهي لم تطلب الجنة فحسب بل طلبت ما هو أكثر من ذلك أن تكون مع نبي الله موسى - عليه السلام - في الجنة ، في الدرجات العلى منها .

(١) ذكرها الشيخ مسعد أنور في شريطه (قصة عجوز بني إسرائيل)

وهؤلاء طلبوا الجنة :

١- ففي قصة ربيعة بن كعب - ﷺ - بيان لعلو الهمة في صحابة رسول الله - ﷺ - ، فعند الطبراني في الكبير وأحمد ،قال ربيعة بن كعب - ﷺ - : كنت أخدم النبي- ﷺ - نهاري، فإذا كان الليل آويت إلى باب رسول الله - ﷺ - فبت عنده، فلا أزال أسمعه يقول :«سبحان الله، سبحان الله، سبحان ربي » حتى أمل ، أو تغلبني عيني فأنام، فقال يوماً :«يا ربيعة سلني فأعطيك»فقلت أنظرني حتى أنظر، وتذكرت أن الدنيا فانية منقطعة، فقلت : يا رسول الله : أسألك أن تدعو الله أن ينجيني من النار ، ويدخلني الجنة، فسكت رسول الله - ﷺ - ثم قال :«من أمرك بهذا ؟»قلت :ما أمرني به أحد، ولكني علمت أن الدنيا منقطعة فانية، وأنت من الله بالمكان الذي أنت منه ، فأحببت أن تدعو الله لي، قال :«إني فاعل، فأعني على نفسك بكثرة السجود »رواه مسلم مختصراً وأبو داود كذلك [1].

٢- عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - ﷺ -قال :«عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل، والرجلان، والنبي وليس معه أحد ، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك فقال بعضهم :فلعلهم الذين صحبوا رسول الله - ﷺ -وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء، فخرج رسول الله - ﷺ - فأخبروه فقال لهم:«هم الذين لا يسترقون

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٢٨٥) والطبراني في الكبير (٢٤٤٣٥) مطولاً ورواه مسلم وأبو داود مختصراً فمسلم في الصلاة - باب فضل السجود والحث عليه ، وأبو داود في الصلاة - باب وقت قيام النبي من الليل حديث ١١٣٨:.

ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن،فقال: أدع الله أن يجعلني منهم، ثم قام رجل آخر فقال : أدع الله أن يجعلني منهم، فقال :«سبقك بها عكاشة » [١] .

٣- في مسند الإمام أحمد أن عمر بن الجموح أتى إلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أأمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة ؟ وكانت رجله عرجاء فقال رسول الله :«نعم » فقتل يوم أحد هو ، وابن أخيه ، ومولى له فمر رسول الله - ﷺ - فقال :«كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة » [٢].

وفي رواية أن رسول الله - ﷺ - قال يوم أُحد :**«قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين »**فقام وهو أعرج، فقال :والله لأقحزن - أي لأثبتن - عليها في الجنة « فقاتل حتى قتل» .

٤- عن أبي برزة الأسلمي :أن جليبيباً كان امرأً من الأنصار ، وكان أصحاب النبي- ﷺ - إذا كان لأحدهم أيم - فتاة - لم يزوجها حتى يُعلم النبي - ﷺ - :هل له فيها حاجة أم لا ؟فقال رسول الله ذات يوم لرجل من الأنصار:«يا فلان زوجني ابنتك»قال :نعم ، ونعمة عين ، قال :«إني لست لنفسي أريدها »قال لمن ؟قال «لجليبيب» قال :يا رسول الله حتى أستأمر أمها ، فأتاها فقال :إن رسول الله - ﷺ - يخطب ابنتك، قالت :نعم، ونعمة عين، ، إنه ليس لنفسه يريدها قالت : فلمن ؟ قال : لجليبيب، قالت لجليبيب ، لا لعمرُ الله لا أزوج جليبيباً، فلما قام أبوها ليأتي النبي - ﷺ - قالت الفتاة من خدرها لأبويها : من خطبني إليكما ؟ قالا : رسول الله - ﷺ -قالت أفتردون رسول

---

(١) أخرجه البخاري في الرقائق - باب يدخل الجنة سبعون ألفاً حديث :٦٥٤١، ومسلم في الإيمان - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب حديث :٢١٦.

(٢) أخرجه أحمد حديث ٢١٩٨١ وقال الحافظ في الفتح :سنده حسن .

الله - ﷺ -أمره ؟ ادفعوني إلى رسول الله فإنه ، لن يضيعني، فذهب أبوها إلى النبي - ﷺ - فقال: شأنك بها، فزوجها جليبيباً .

قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري لثابت : أتدري ما دعا لها به النبي - ﷺ - ؟قال : وما دعا لها النبي- ﷺ - ؟ ، قال :«اللهم صب عليها الخير صباً ولا تجعل عيشها كداً كداً »قال ثابت :فزوجها إياه، فبينما رسول الله - ﷺ - في مغزى له قال :«هل تفقدون من أحد؟» قالوا :نفقد فلانا ، ونفقد فلاناً، ثم قال :«هل تفقدون من أحد ؟» قالوا: لا ، قال :«ولكني أفقد جليبيباً فاطلبوه في القتلى»فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه ، فقال رسول الله- ﷺ - :«هذا مني وأنا منه، أقتل سبعة ثم قتلوه ؟ هذا مني وأنا منه، أقتل سبعة ثم قتلوه ؟ هذا مني وأنا منه » فوضعه رسول الله - ﷺ - على ساعديه ثم حفروا له، وماله سرير إلا ساعدي رسول الله - ﷺ - حتى وضعه في قبره قال ثابت :فما في الأنصار أيم أنفق منها » (١) .

لقد كان جليبيب - رضي الله عنه - مخيراً بين دخوله على عروسه الجميلة ، والتي طالما حلم بمثلها ، وبين الجهاد في سبيل الله ، وطلب الجنة فآثر الجنة ، ونعيمها على ما في الدنيا من نعيم زائل.

والنبي - ﷺ -يشهد له بأنه صاحب مكانة عظيمة عند الله - عز وجل- فعن أنس- رضي الله عنه - قال : كان رجل من أصحاب النبي - ﷺ - يقال له جليبيب في وجهه دمامة، فعرض عليه رسول الله التزويج و قال إذاً تجدني كاسداً، فقال:«غير أنك عند الله لست بكاسد» (٢) .

---

(١) قال الهيثمي :هو في الصحيح خالياً عن الخطبة والتزويج - رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد (١٥٩٧٧) . قلت :هو في مسلم فضائل الصحابة - باب من فضائل جليبيب حديث :٤٦٢٤، وفي مسند أحمد بطوله حديث: ١٩٣٥٩.

(٢) رواه ابو يعلى (٦/ ٨٩) عن انس وقال شيخنا العدوي :إسناده حسن (الصحيح المسند من فضائل الصحابة ص:٢٨٤).

٤- عن أنس بن مالك- رضي الله عنه -قال:في يوم بدر قال رسول الله- ﷺ - : «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض »قال : يقول عمير بن الحمام الأنصاري يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال: «نعم» قال : بخ بخ، فقال رسول الله – ﷺ – :«ما يحملك على قولك بخ بخ » قال لا والله ! يا رسول الله ! ، إلا رجاءة أن أكون من أهلها ؟ قال :«فإنك من أهلها » و قال : فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال :لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة، قال :فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل .رواه مسلم (١).

٥- وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال :عمي الذي سميت به ابن النضر لم يشهد مع رسول الله – ﷺ – بدرا، قال :فشق عليه ، و قال : أول مشهد شهده رسول الله – ﷺ – غبت عنه، وإن أراني الله مشهداً، فيما بعد، مع رسول الله – ﷺ – ليراني الله تعالى ما أصنع، قال : فهاب أن يقول غيرها، قال : فشهد مع رسول الله – ﷺ – يوم أحد، فقال :فاستقبل سعد بن معاذ، فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ فقال :واهاً لريح الجنة أجده دون أحد، قال: فقاتلهم حتى قتل، قال فوجد في جسده بضع وثمانون، من بين ضربة وطعنة ورمية، قال : فقالت أخته ، عمتي الربيع بنت النضير، فما عرفت أخي إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية : ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب : ٣٢] ، قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه .رواه البخاري ومسلم (٢) .

٦- وجاء في مسلم عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : سمعت أبي، وهو بحضرة العدو، يقول : قال رسول الله – ﷺ – :«أن أبواب الجنة تحت

(١) في الإمارة – باب ثبوت الجنة للشهيد (حديث :١٩٠١).

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير– باب قول الله ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟﴾ حديث :٢٨٠٥، وفي مسلم في الإمارة – باب ثبوت الجنة للشهيد حديث:١٩٠٣.

ظلال السيوف» فقام رجل رث الهيئة، فقال : يا أبا موسى !أنت سمعت رسول الله - ﷺ - يقول هذا ؟ ، قال : نعم، قال : فرجع إلى أصحابه فقال :أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفنة سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو، فضرب به حتى قتل [١].

فحيهلا إن كنت ذا همة فقد ∴ حدا بك حادي الشوق فاطو المراحلا
وقل لمنادي حبهم ورضاهم ∴ إذا مادعا لبيك ألفاً كواملا
ولا تنظر الأطلال من دونهم فإن ∴ نظرت إلى الأطلال عدت حوائلا
فلا تنظر بالسير رفقة قاعد ∴ ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا
وخذ منهم زاداً إليهم وسر على ∴ طريق الهدى والحب تصبح واصلا
وأحي بذكراهم سراك إذا أدنت ∴ ركابك فالذكرى تعيدك عاملا
وإما تخافن الكلام فقل لها ∴ أمامك ورد الوصل فأبغ المناهلا
وخذ قبسًا من نورهم ثم سر به ∴ فنورهم يهديك ليس المشاعلا

علو الهمة في الكتاب والسنة :

قال تعالى :﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [ص : ٤٥ ، ٤٦]، قال ابن عباس : ﴿ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ أولي القوة والعبادة، ﴿ وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ يقول :الفقه في الدين .

وقال قتادة :أعطوا قوة في العبادة، وبصراً في الدين

قال ابن كثير :يعني بذلك: العمل الصالح، والعلم النافع،والقوة في العبادة، والبصيرة النافذة (التفسير (٧/ ٦٦) .

وقال تعالى : ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾

(١) ( ) أخرجه مسلم في الإمارة – باب ثبوت الجنة للشهيد حديث :١٩٠٢.

[ص : ٧١] ، قال السدي : القوة في طاعة الله ، وقال مجاهد : القوة في طاعة الله وعند الترمذي عن أبي الدرداء أن رسول الله - ﷺ - قال :«كان داود أعبد البشر»[(١)] ، وفي مسلم عن عبد الله بن عمر «فصم صوم داود نبي الله فإنه كان أعبد الناس »وفي البخاري ومسلم قال النبي - ﷺ - : « أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه »[(٢)] .

وقال تعالى : ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم : ١٢] فنهض يحيى - ﷺ - بالأمانة في قوة، وعزم وأمتثل أمر ربه تبارك وتعالى، وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة : ١٤٨] وقال تعالى : ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة : ٤٨] وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران : ١٣٣]،وقال: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر : ٣٢]، وقال تعالى : ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد : ٢١] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون : ٥٧ ، ٦١].

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات - باب ما جاء في عقد التسبيح باليد : ٣٤٩٠ وهو في صحيح الجامع (٤٣٢٩).
(٢) أخرجه البخاري في التهجد - باب من نام عند السحر حديث :١١٣١، ومسلم في الصيام - باب النهي عن صوم الدهر حديث :١١٥٩، وفيه قوله عن داود :«فإنه كان اعبد الناس».

ففي هذه الآيات الكريمات حثٌ من الله لعباده المؤمنين بعلو الهمة ، وذلك بالمسابقة إلى الخيرات ، والحرص على القربات، وكل ذلك حتى يصلوا إلى مغفرة رب الأرض والسماوات ، ويظفروا بنعيم الجنات .

فاللهم اجعلنا من أهلها يا جواد يا كريم .

السنة النبوية :

١- عن الحسين بن علي - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - :«إن الله يحب معالي الأمور، وأشرافها، ويكره سفسافها» رواه الطبراني في الكبير [١].

٢- عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها »رواه الحاكم [٢].

٣- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :« المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير واحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل :لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل »رواه مسلم [٣].

٤- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :« لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من فارس»متفق عليه وفي لفظ مسلم : «لو كان الإيمان عند الثريا لذهب به رجل من أبناء فارس حتى يتناوله» [٤].

٥- عن انس بن مالك - رضي الله عنه - قال رسول الله - ﷺ - :«لكل قرن سابق»

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٢٨٦٧) ، صحيح الجامع :١٨٩٠.
(٢) الحاكم في مستدركه حديث :١٣٨ ، صحيح الجامع :١٨٨٩.
(٣) رواه مسلم في القدر - باب الإيمان بالقدر والإذعان له حديث :٢٦٦٤.
(٤) صحيح البخاري- كتاب تفسير القرآن- سورة الجمعة - باب قوله : وآخرين منهم لما يلحقوا بهم. حديث:٤٨٩٧، رواه مسلم في فضائل الصحابة - باب فضل فارس حديث :٢٥٤٦.

رواه ابو نعيم في الحلية [١] .

٦- عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :«من أراد أن يعلم ما له عند الله ، فلينظر ما لله عنده » رواه الدار اقطني في الأفراد وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة وسمرة [٢] .

٧- عن أُبي بن كعب - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال :«من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا أن سلعة الله غالية ، إلا إن سلعة الله في الجنة » رواه أبو نعيم والحاكم [٣] .

٨- عن أنس بن مالك - رضي الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - :« من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له »رواه الترمذي [٤] .

ولهؤلاء النساء همَّة:

قالوا: (المرأة نصف المجتمع) فقلنا : بل هي المجتمع بأسره فهي نصف الأمة، ثم هي تلد النصف الآخر ، فهي أمة بأسرها

صنعتن ما يعيي الرجال صنيعه .·. فزدتن في الخيرات والبركات

لقد كرم الإسلام المرأة أيما تكريم، وشرفها أعظم تشريف فأي تكريم

---

(١) في الحلية حديث :١٢٥٢٤، عن إسماعيل بن مسلمة القعنبي رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن مناديا ينادي : ألا ليقم السابقون فقام سفيان الثوري ثم نادى الثانية ألا ليقم السابقون فقام سالم الخواص ثم نادى الثالثة: ألا ليقم السابقون فقام إبراهيم بن أدهم . فأولت ذلك ما حدثنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن أنس ثم ساق الحديث.وصححه في صحيح الجامع:٥١٧١.

(٢) صححه الألباني في الصحيحة رقم: ٢٠٠١.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه حديث :٧٩٢١ والترمذي حديث :٢٤٣٢ ، وأبو نعيم في الحلية حديث :١٣٠٢٦ وهو في صحيح الجامع :٦٢٢٢.

(٤) أخرجه الترمذي حديث :٢٤٤٨ وصححه الالباني في صحيح الجامع (٦٥١٠).

أعظم من أن يسمى الله سورة كاملة من طوال السور باسم (النساء) ؟ وسورة أخرى باسم (مريم)،أي تكريم للمرأة أجل من أن القرآن كان ينزل في مخدع عائشة؟!! أي تكريم أعلى من ان الله ينزل قرآناً في براءة امرأة ؟!! وأي تكريم فوق أن يتولى الله تزويج امرأة بنفسه ؟!!

فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ∴ ولا التذكير فخر للرجال

وبما أن قصتنا عن امرأة - عجوز - فآثرت أن أذكر علو همة عدد من فضليات النساء من هذه الامة وغيرها .

١- آسية امرأة فرعون :

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [التحريم : ١١]

فهذه المرأة عالية الهمة في طلبها للجنة، فصبرت على تعذيب فرعون لها، وأذيته ، وتعذيبه إياها ، وأبدلها الله خيراً بذلك وهي جنة الله ورضوانه، وجعلها الله بهمتها مثلاً للمؤمنين.

٢- مريم بنت عمران :

قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التحريم : ١٢]حملت فلم يكن للشيطان منها نصيب منذ حمل أمها بها ، وهي كذلك مثلُ للتجرد لله ، والإيمان الكامل ، والطاعة المطلقة .

فعن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال رسول الله- ﷺ -:(**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان، إلا عيسى وأمه**)رواه البخاري ومسلم [١] .

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء حديث :٣٤٣١، ومسلم في الفضائل حديث:٢٣٦٦.

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ .

ولله درها فهي رمز للتجرد لطاعة الله تعالى وعبادته .

٣- سيدة نساء العالمين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - :

قال ابن الأثير :خديجة -رضي الله عنها- أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين ، وقال ابن إسحاق :كانت خديجة وزيرة صدق، وقال علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول :«**خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها مريم بنت عمران** »رواه البخاري ومسلم (١) .

٤- فاطمة - رضي الله عنها - بنت رسول الله - ﷺ - :

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :«**حسبك من نساء العالمين بأربع : مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد** »رواه الترمذي (٢) أذهب الله عنها ، وعن بيتها الرجس ، وطهرها تطهيراً، وقد كان النبي - ﷺ - يحبها ، ويكرمها ، ويسير إليها ، وكانت صابرة دينة ، خيرة صينة ، قانعة شاكرة لله ، ومناقبها غزيرة.

قمت البيت - رضي الله عنها - حتى أغبرت، وطحنت حتى مجلت يداها، وأثرت الرحى في صدرها، واستعانت على خدمة البيت بالتسبيح !! .

كان مهرها درع علي الحطمية، وأهديت إليه ومعها خميلة ، ومرفقة من أدم حشوها ليف، وقربة ، ومنخل ، وقدح ، ورحى ، وجرابان، ودخلت عليه ومالها فراش غير جلد كبش ينامان عليه بالليل وتعلق عليه الناضح بالنهار، وكانت خادمة نفسها قال ابن الجوزي :تالله ما ضرها ذلك (٣).

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء حديث :٣٤٣٢و ومسلم في فضائل الصحابة رضي الله عنهم حديث :٢٤٣٠.
(٢) أخرجه الترمذي في المناقب حديث :٣٨٧٨باب فضل خديجة - رضي الله عنها - .
(٣) راجع سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٩) والتبصرة (١/ ٤٥١- ٤٥٢).

فيا اختاه:

فيك تسموا للمعالي قطرة .·. فاتبعي الـزهـراء نعم الأسـوة
عل غصناً منك يـأتي بحسين .·. فـتُرى النضرة اوضـأت ذوين

٥- الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنها - حبيبة رسول الله - ﷺ - :

قال الذهبي في السير(١٤٠/٢): وَلاَ أَعْلَمُ فِي أُمَّة مُحَمَّد - ﷺ - بَلْ وَلاَ فِي النِّسَاء مُطْلَقاً امْرَأَةً أَعْلَمَ مِنْهَا ، ذَهَبَ بَعْضُ العُلَمَاء إِلَى أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ أَبِيْهَا، وَهَذَا مَرْدُوْدُ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً، بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهَا زَوْجَةُ نَبِيِّنَا - ﷺ - فِي الدُّنْيَا وَالآخرَة، فَهَلْ فَوْقَ ذَلِكَ مَفْخَرٌ؟!

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : «ما أشكل علينا من أصحاب رسول الله - ﷺ - حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً»وقال مسروق :رأيت مشيخة أصحاب محمد - ﷺ - يسألونها عن الفرائض ، قال الزهري :لو جمع الناس كلهم ، وأمهات المؤمنين، لكانت عائشة - رضي الله عنها - أوسعهم علماً .

ولما ذكر ابن حزم أسماء الصحابة الذين دريت عنهم الفتاوى في الأحكام على مزية كثرة ما تقل عنهم، قدم عائشة على سائر الصحابة، وقال الحاكم : فحُمل عنها ربع الشريعة، و قال عروة : ما رأيت أحداً أعلم بفقه ، ولا بطب، ولا بشعر من عائشة، وحبه - ﷺ - لها كان مستفيظاً في الصحابة حتى أنهم كانوا يتحرون بهداياهم له - ﷺ - يوم عائشة- رضي الله عنها -، فخاطبته أم سلمة بذلك فقال: «**يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة ، فإنه والله ما نزل علي الوحي ، وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها** » .

قال الذهبي: وَهَذَا الجَوَابُ مِنْهُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - عَلَى سَائِرِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ بِأَمْرٍ إِلَهِيٍّ وَرَاءَ حُبِّهِ لَهَا .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك – ﷺ –قال رسول الله – ﷺ – :«**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**» .

٦- زينب بنت جحش «أم المؤمنين» :

عن أنس –رضي الله عنه– قال : دخل رسول الله المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال:«ما هذا الحبل؟» قالوا:حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي – ﷺ – :« **لا ، حلوه، ليُصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد** » رواه البخاري .

قالت عائشة – رضي الله عنها – :«كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله – ﷺ –، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب ، وأتقى لله، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى »وقالت عنها عائشة – رضي الله عنها – لما ماتت : «لقد ذهبت حميدة متعبدة، مفزع اليتامى، والأرامل ».

٧- الصوامة القوامة – حفصة بنت عمر – رضي الله عنهما - :

صح أن النبي – ﷺ – طلقها ثم راجعها بأمر جبريل – عليه السلام – له بذلك قال :«إنها صوامة قوامة، وهي زوجتك في الجنة»فأي شرف فوق هذا الشرف ؟! ولا غرابة فهي بنت عمر الفاروق – رضي الله عنهما – .

وهل ينبت الخطي إلا وشيجة ∴ ويــزرع إلا في منابته النخل

٨- أول شهيدة في الإسلام :

سمية بنت خياط أم عمار– رضي الله عنهما– قال ابن حجر: أخرج ابن سعد بسند صحيح عن مجاهد قال :أول شهيد في الإسلام سمية – والدة عمار بن ياسر – وكانت عجوزاً كبيرةً ضعيفة .

كانت سابعة سبعة في الإسلام ، وكان بنو مخزوم إذا اشتدت الظهيرة ، والتهبت الرمضاء، خرجوا بها هي وابنها ، وزوجها إلى الصحراء ، وألبسوهم دروع الحديد ، وأمالوا عليهم الرمال المتقدة، وأخذوا يرضحونهم بالحجارة، واعتصمت بالصبر ، وقرت على العذاب، وأبت سمية أن تعطي القوم ما سألوا من الكفر بعد الإيمان، فذهبوا بزوجها ، وأفظعوا قتلتها، فقد أنفذ النذل أبو جهل بن هشام حربته فيها فماتت لتكون أول شهيدة في الإسلام .

سمية لا تبـالي حيث تلقى ∴ وتـأبـى أن تـردد مـا أرادوا
عـذاب النكر يـومـاً أو تلينا ∴ فكانت في عـداد الصابرينا

٩- أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم :

قال ابن عباس:وقع في قلب أم شريك الإسلام وهي بمكة، فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها قالوا لها :لولا قومك، لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم قالت:فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره، ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني ولا يسقوني فنزلوا منزلاً، وكانوا إذا نزلوا في الشمس واستظلوا، حبسوا عني الطعام والشراب حتى يرتحلوا، فبينما أنا كذلك إذا بأثر شيء بارد وقع علي منه، ثم عاد فتناولته، فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلاً، ثم نزع مني، ثم عاد فتناولته، فشربت منه قليلاً، ثم رفع، ثم عاد أيضاً، فصنع ذلك مراراً حتى رويت ، ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة، فقالوا لي : أتحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه ؟فقلت، لا والله ما فعلت ذلك، كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا لئن كنت صادقة، فدينك خير من ديننا ، فنظروا إلى الأسقية

فوجدوها كما تركوها ، فأسلموا لساعتهم [1].

١٠- الرميصاء بنت ملحان أم سليم :

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال :«رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خرشفة - حركة - فقلت : من هذا ؟فقال : هذا بلال »رواه البخاري ومسلم .

وعند النسائي عن أنس قال : خطب أبو طلحة أم سليم - أم أنس - فقالت: والله ما مثلك يرد يا أبا طلحة، ولكنك رجل كافر ، وأنا امرأة مسلمة ، ولا يحل لي أن أتزوجك ، فإن تسلم ، فذاك مهري ، وما أسألك غيره ، فأسلم، فكان ذلك مهرها، قال ثابت :فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهراً من أم سليم ، الإسلام ، فدخل بها فولدت له .

١١- الخنساء التي صاغها الإسلام :

في الجاهلية :ملأت البوادي نياحاً على شقيقها صخر .. وفي الإسلام :قدمت أشطار كبدها ونياط قلبها ، أربعة من الأسود خرجوا إلى القادسية ، فكان مما أوصتهم به قولها :يا بني ، إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو ، إنكم بنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما هجنت حسبكم، وما غيرت نسبكم، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية اصبروا و صابروا ورابطوا لعلكم تفلحون ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، و وجلستم ناراً على أوراقها ، فيمموا وطيسها، وجالدوا رسيسها ، تظفروا بالغنم والكرامة ، في دار الخلد والمقامة ، ...فلما كشرت الحرب عن أنيابها ، تدافعوا إليها ، وتواقعوا عليها ، وكانوا عند ظن أمهم بهم حتى قتلوا واحداً في إثر واحد ، ولما وافتها النعاة بخبرهم ، لم تزد على

---

(١) الإصابة ٨/ ٢٤٨.

أن قالت : الحمد الله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته [١].

١٢ - حفصة بنت سيرين التابعية الفاضلة :

قال مهدي بن ميمون : مكثت حفصة بنت سيرين ثلاثين سنة لا تخرج من مصلاها إلا لقائله أو قضاء حاجة !! .

عن عبد الكريم بن معاوية قال: ذكر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن كل ليلة ، وكانت تصوم الدهر، وتفطر العيدين وأيام التشريق .

١٣ - عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد - تلميذة عائشة - رضي الله عنها - :

كانت عالمة فقيهة، حجة كثيرة العلم، وحديثها كثير في دواوين الإسلام ، عن ابن شهاب :عن القاسم بن محمد أنه قال لي :يا غلام ، أراك تحرص على طلب العلم ، أفلا أدلك على وعائه ؟ ، قلت بلى قال :عليك بعمرة ، فإنها كانت في حجر عائشة- رضي الله عنها - ، قال:فأتيتها ، فوجدتها بحراً لا ينزف.

١٤ - أم الدرداء الصغرى الفقيهة العابدة:

روت علماً جماً عن زوجها أبي الدرداء، وعن سلمان ، وكعب بن عاصم ، وعائشة ، وأبي هريرة، واشتهرت بالعلم والعمل والزهد .

قال مكحول : كانت أم الدرداء فقيهة، وقال عون بن عبد الله :كنا نأتي أم الدرداء :فنذكر الله عندها، وقال يونس بن ميسرة :كان النساء يتعبدن مع أم الدرداء - رضي الله عنها - فإذا ضعفن عن القيام تعلقن بالحبال !! .

١٥ - بنت الإمام مالك (تحفظ «الموطأ»)

كان الإمام مالك يُقرأ عليه «الموطأ»فإذا لحن القارئ في حرف ، أو زاد، أو

(١) الإصابة (٨/ ٢٢٩) أصل القصة في الصحيحين.

نقص ، تدق ابنته الباب، فيقول أبوها للقارئ :ارجع ، **فالغلط معك** ، فيرجع القارئ فيجد الغلط .

١٦ - فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح :

قال عنها ابن رجب : أم زينب الواعظة، الزاهدة العابدة، الشيخة الفقيهة، العالمة المسندة المفتية، الخائفة الخاشعة ، السيدة القانتة ، المرابطة المتواضعة ، الدينة العفيفة ، الخيرة الصالحة ، المتقنة المحققة ، والكاملة الفاضلة ، المتفننة البغدادية ، الواحدة في عصرها، والفريدة في دهرها ، المقصودة في كل ناحية ، كانت جليلة القدر ، وافرة العلم ، تسأل عن دقائق المسائل، وتتقن الفقه إتقاناً بالغاً ، أخذت عن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، حتى برعت و كانت إذا أشكل عليها أمر سألت ابن تيمية عنه فيفتيها ، ويتعجب من فهمها ويبالغ في الثناء عليها .

وكانت مجتهدة صوامة قوامة ، قوالة بالحق، خشنة العيش، قانعة باليسير، آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر، انتفع بها خلق كثير ، علا صيتها، وأرتفع محلها، توفيت ليلة عرفة –رحمها الله–ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٦٧ – ٤٦٨)

١٧ -الأميرة المفسرة زيب النساء،بنت الملك أورنك زيب عالمكير(أعجوبة النساء):

هي زيب النساء الهندية (بيكم)ابنة الشاه محيي الدين أورنك زيب عامكير ، سلطان الهند قاتل الأسود ، ومن خير ملوك الأرض ولدت لسنة :١٠٤٨هـ وتوفيت سنة :١١١٣هـ ، كانت حافظة لكتاب الله مفسرة له ، و هي المرأة التي تفخر بها النساء ، إذ هي المرأة الوحيدة التي لها تفسير للقرآن، ويسمى هذا التفسير «زيب التفاسير » فلله درها أميرة مفسرة !!.

قال الأستاذ محمد خير يوسف : قارئات حافظات (١٩/ ٤٧ – ٤٨)في معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، لعادل نويهض، الذي ضمت محتوياته مجلدين ضخمين ، لم أر فيه سوى امرأة واحدة لها تفسير، وهي زيب النساء بنت الشاه محيي الدين أورنك زيب عامكير .

١٨-عاتكة المخزومية :

لما عوتبت في كثرة بكائها، قالت : ما ينبغي للمخوف بالنار أن تجف له دمعة، حتى يعرف موقع الأمان من ذلك .

١٩ - عفيرة العابدة :

تُعاتب في قلة نومها ، وكثرت قيامها، فتقول :ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً؟!.

٢٠ - عصمت الدين خاتون :

زوجة الملك الصالح نور الدين محمود زنكي، ومن بعده تزوجها صلاح الدين الأيوبي، قامت ذات ليلة غضبى من نومها، فسألها نور الدين عن سر غضبها، فقالت :فاتني وردي البارحة فلم أصل من الليل شيئاً .

٢١ - عائشة بنت سعد الجيري:

عابدة نيسابور ومجابة الدعوة سمعت ابنتها تتكلم وهي فرحة ببعض ما لديها، فقالت لها : لا تفرحي بفان، ولا تجزعي من ذاهب، وافرحي بالله – عز وجل - واجزعي من سقوطك من عين الله – عز وجل – وقالت لابنتها : ألزمي الأدب ظاهراً وباطناً، فما أساء أحد باطناً إلا عوقب باطناً.

كذاك الفخر يا همم الرجال .·. تعالي فانظري كيف التعالي

فهؤلاء من أمهاتنا الأوليات ، كواكب السحر في سماء العظائم، وأروع الغرر في جبين العزائم، وذلك شيء من حديثهن، لا يدع لقائل قيلاً ، ولا لمفتخر سبيلاً. عودة الحجاب (٢/ ١٦٥).

أتسبقك وأنت رجل نسوة ..؟! .·. أما لك بالرجال أسوة ..؟ [١]

(١) وللمزيد في ذلك راجع «صلاح الأمة في علو الهمة »للسيد عفاني فجل ما ذكرت هنا من كتابه- هذا- الفصل الرابع علو همة النساء المجلد السابع .

عجائز... ولكن ...

قد صور الله في كتابه الكريم جلد الكافرين، وتواصيهم بالصبر على دينهم إذ قالوا : ﴿ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ [ص : ٦] وإن من هؤلاء الذين حدثنا التأريخ بهمتهم في نشر كفرهم والتفاني في سبيله

١ - «إزابيل» صاحبة القميص العتيق :

ملكة قشتالة وإسبانيا، كرست أكثر من ثلاثين سنة في عمرها في سبيل النصرانية الكاثوليكية، قدمت التضحيات في سبيل إسبانيا ، ودينها نسيت انها امرأة، واقسمت وقطعت عهداً على نفسها بعدم استبدال قميصها - ثوبها الداخلي - حتى تسقط غرناطة في يدها، وذلك قبل سنوات عديدة من حدوث التسليم فعلاً.

وأسقطت مُلك المسلمين لغرناطة، والأندلس نهائياً، ووحدت جهود ملوك النصارى ضد المسلمين .

أمنت مجوهراتها لدفع مرتبات الجنود، وكانت تشرف على المعارك ضد المسلمين بنفسها .

أرغمت أبا عبد الله الصغير - آخر ملك بغرناطة - أن يدفع جزية سنوية قدرها اثنتا عشرة ألف قطعة ذهبية، وأن يكون تابعاً وفياً للملوك الكاثوليك، يمثل أمام البلاط في قشتالة متى أستدعى ذلك، وأن يسلم ابنه الصغير رهينة حتى يسلم لها غرناطة، وأن يقوم بتسليم أربعمائة أسير حالاً، ومن بعدها ستين أسيراً سنوياً، ووقعت معاهدة التسليم في ٢٥ نوفمبر ١٤٩١م ودخلت إيزابيل ومعها القوات النصرانية إلى غرناطة في ٢ يناير ١٤٩٢م وهي صاحبة

محاكم التفتيش في إسبانيا، حرقت المسلمين وهم أحياء ، بل وحرقت الموتى بعد إخراجهم من قبورهم ، وردتهم عن الإسلام، وصادرت جميع ممتلكاتهم، حتى لم يبق في الأندلس مئذنة ولا آذان ولا مسلم .

ومن جلدها لدينها أنها مولت الرحلة الجنونية لكولومبس لاكتشاف القارة الأمريكية ، وتنصير العالم الجديد «أمريكا»وضم ثروات القارة الجديدة للخزينة، وإرسالها للمنصرين إلى العالم الجديد لإخضاع وتنصير شعوب أمريكا .

فهذه امرأة طردت المسلمين من الأندلس..ولو لم يكن لها إلا هذا لكفاها ، وإنها إزابيل ذات الأهمية العظمى في تأريخ أوروبا وأمريكا من خلا ل المنظور الكاثوليكي ، أعتنت الكنيسة ببناء شخصيتها، ورعايتها وحمتها ، وأوصلتها إلى الحكم، وأمدتها بالمال والرجال .

أُلفت عنها المؤلفات، وكَتب في سيرتها أشهر القصاصين الأسبان، ترجمته الشهيرة: «إيزابيل ...القميص العتيق» ، وطالب الكاتب فيه برفع إيزابيل إلى درجة قديسة فهذه عجوز من عجائز النصارى وهذه همتها يا معشر المسلمين[١] .

٢- «جولدا مائير» شيطانة بني إسرائيل:

عادت من أمريكا محملة بخمسين مليون دولار ، بعد حملة تبرعات واسعة في بدء قيام دولة إسرائيل فقال عنها غوريون :سيقال عند كتابة التأريخ :أن امرأة يهودية أحضرت المال، وهي التي صنعت الدولة .

بل قال عنها : إنها الرجل الوحيد في الدولة .

قالت جولدا مائير متحدثة عن نفسها : لقد كانت مسألة العمل في حركة العمل الصهيوني، تجبرني على الإخلاص لها، ونسيان همومي كلها، وأعتقد

(١) راجع صلاح الأمة (٧/ ١٨٧ - ١٨٨).

أن هذا الوضع لم يتغير طيلة مجرى حياتي في الستة العقود التالية .وتقول: لم يُقدم لنا الاستقلال على طبق من فضة، بل حصلنا عليه بعد سنين من النزاع والمعارك، ويجب أن ندرك بأنفسنا ومن أخطائنا، الثمن الغالي للتصميم والعزيمة، وتقول: لقد كان علينا الاعتماد على أنفسنا، ومجابهة أي طارئ بروح بطولية مسئولة [١].

لقدكتبت هذه الكلمات في زمن تقاصرت فيه الهمم عن نصرة الدين، والقيام بأوامره ونواهيه بين المسلمين، وهل ستعتبر أمتنا ؟أما أننا ما زلنا في سبات عميق؟ عن ديننا وتحرير مقدساتنا ؟واسترجاع كرامتنا ؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لمثل هذا يموت القلب من كمد .·. إن كان في القلب إسلام وإيمان

الفائدة الخامسة عشرة: مشروعية الوصية:

وذلك مأخوذ من عهد يوسف - ﷺ - لبني إسرائيل في قول علمائهم «إن يوسف أخذ علينا مواثيق الله ألا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا » ، والوصية هي الإيصاء، وتطلق بمعنى العهد إلى الغير في القيام بفعل أمر، حال حياته أو بعد وفاته

وفي الاصطلاح الشرعي : هي عهد خاص مضاف إلى ما بعد الموت وقد يصحبه التبرع [٢] سواء أكان المملك عيناً أم منفعة، كالوصية بمبلغ من المال ، أو بمنفعة دار لفلان ، أو لجهة خير بعد وفاة الموصي .

والوصية مشروعة ، وقد دل على مشروعيتها الكتاب والسنة والأجماع :

الوصية في كتاب الله تعالى :

قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ

---

(١) صلاح الأمة (٧/ ١٨٨- ١٨٩).
(٢) الفتح (٥/ ٣٥٥) .

لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [البقرة : ١٨٠] وقال تعالى: ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ [النساء : ١٢] وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ [المائدة : ١٠٦] [(١)].

الوصية في سُنة النبي - ﷺ - :

روى البخاري ومسلم [(٢)] عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال :أن رسول الله - ﷺ - قال:**«ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه ، يبيت فيه ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»** قال نافع : سمعت ابن عمر يقول :ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله - ﷺ - يقول ذلك إلا ووصيتي مكتوبة .

قال الشافعي - رحمه الله - : ما الحزم والاحتياط للمسلم إلا أن تكون وصيته مكتوبة عنده ، إذا كان له شيء يريد أن يوصي فيه لأنه لا يدري متى تأتيه منيته فتحول بينه وبين ما يريد من ذلك .

عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال :جاء النبي - ﷺ - يعودني وأنا بمكة وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها، قال:« يرحم الله ابن عفراء»، قلت:يا رسول الله أوصي بمالي كله ، قال: «لا »قلت : فالشطر؟قال :«لا » قلت : الثلث ؟قال:**«فالثلث الثلث كثير إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم ، وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة، حتى اللقمة التي ترفعها إلى امرأتك، وعسى الله أن يرفعك فينتفع بك ناس، ويُضر بك آخرون، ولم يكن له يومئذ إلا ابنه»** رواه البخاري ومسلم [(٣)].

(١) قال القرطبي(١/ ٥٥٧): ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ هذه آية الوصية، ليس في القرآن ذكر للوصية إلا في هذه الاية، النساء ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ ﴾[النساء: ١٢] وفي المائدة ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ﴾[المائدة: ١٠٦]. والتي في البقرة أتمها وأكملها ونزلت قبل نزول الفرائض والمواريث.

(٢) أخرجه البخاري في الوصايا حديث :٢٧٣٨ ومسلم في الوصية حديث :١٦٢٧ .

(٣) أخرجه البخاري في الوصايا حديث:٢٧٤٢ ومسلم في الوصية حديث :١٦٢٨ .

الإجماع:

قال ابن قدامة (المغني:١٢٩/٨): وأجمع العلماء في جميع الأمصار والأعصار على جواز الوصية قل أو كثر.

١- **حكمتها**: قربة يتقرب بها الإنسان إلى الله – عز وجل – في آخر حياته كي تزداد حسناته، أو يتدارك بها ما فاته، ولما فيها من البر، والإحسان والمواساة في الحديث «**إن الله تصدق عليكم عند وفاتكم بثلث أموالكم، وجعل ذلك زيادة لكم في أعمالكم**» رواه ابن ماجة [(١)].

حكم الوصية :

اختلف أهل العلم – رحمهم الله– في حكم الوصية ، فما بين قائل بالوجوب وما بين قائل بغيره.

قال القرطبي(٥٥٩/١): اختلف العلماء في وجوب الوصية على من خلف مالا، بعد إجماعهم على أنها واجبة على من قبله ودائع ، وعليه ديون.

وذهب إلى الوجوب الزهْرِيُّ وَأَبُو مِجْلَز وَعَطَاء وَطَلْحَة بْن مُصَرِّف فِي آخَرِينَ ، وَحَكَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ الشَّافِعِيّ فِي الْقَدِيم ، وَبِهِ قَالَ إِسْحَاق وَدَاوُد ، وَاخْتَارَهُ أَبُو عَوَانَة الْإِسْفَرَايِينِيّ وَابْن جَرِير وَآخَرُونَ [(٢)].

وذهب جمهور العلماء إلى أن الوصية ليست بواجبة بل نسب ابن عبد البر القول بعدم الوجوب إلى الإجماع وعد المخالف شاذاً [(٣)].

قال النخعي : مات رسول الله– ﷺ – ولم يوص، وقد أوصى أبو بكر فإن أوصى فحسن، وإن لم يوص فلا شيء عليه [(٤)].

---

(١) رواه ابن ماجة في الوصايا حديث:٢٧٠٦ عن أبي هريرة وصححه الألباني صحيح الجامع (١٧٣٣).
(٢) الفتح (٥/ ٣٥٨).
(٣) تفسير القرطبي (١/ ٥٥٩)،والفتح (٥/ ٣٥٨).
(٤) القرطبي(١/ ٥٥٩).

وقال القرطبي(١/٩٥٥): وأكثر العلماء على أن الوصية غير واجبة على من ليس له قبله شيء من ذلك - ودائع أو ديوان - وهو قول مالك والشافعي والثوري، ، موسراً كان الموصي أو فقيراً.

ونقل ابن المنذر عن أبي ثور : أن المراد بوجوب الوصية في الآية والحديث يختص بمن عليه حق شرعي يخشى أن يضيع على صاحبه وإن لم يوص به كوديعة ودين الله والآدمي.

وأجاب بعضهم: بأن الآية منسوخة كما ثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ولخص الحافظ ابن حجر المسألة فقال: وَعُرِفَ مِنْ مَجْمُوعِ مَا ذَكَرنَا أَنَّ الْوَصِيَّة قَدْ تَكُون وَاجِبَة وَقَدْ تَكُون مَنْدُوبَة فِيمَنْ رَجَا مِنْهَا كَثْرَة الأَجْر ، وَمَكْرُوهَة فِي عَكْسه ، وَمُبَاحَة فِيمَنْ اِسْتَوَى الأَمْرَان فِيهِ ، وَمُحَرَّمَة فِيمَا إِذَا كَانَ فِيهَا إِضْرَار كَمَا ثَبَتَ عَنْ اِبْن عَبَّاس - رضي الله عنهما - " الْإِضْرَار فِي الْوَصِيَّة مِنْ الْكَبَائِر ".

قلت :ويكون التفصيل كما يلي :

١- **واجبة :** كالوصية برد الودائع والديون، وقد نقل القرطبي الإجماع على ذلك كما تقدم، وكذلك تجب في الواجبات التي شغلت بها الذمة كالزكاة، والحج، والكفارات ، وفدية الصيام ، والصلاة وغيرها.

٢- **مستحبة :**كالوصية للأقارب غير الوارثين ولجهات البر والخير والمحتاجين

٣- **مباحة :** كالوصية للأغنياء من الأجانب والأقارب .

٤- **محرمة :** وتحرم الوصية إذا كان فيها، إضرار بالورثة أو منعهم من أخذ نصيبهم المقدر شرعاً، ومن الوصية المحرمة أن يوصي لأهل المعاصي والفجور للإنفاق على فجورهم ومعاصيهم، كمن يوصي بخمر أو بناء كنيسة أو دار لهو قال تعالى :﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

حَلِيمٌ ﴾[النساء : ١٢] [١] .

ما يوصي به ومقداره :

قوله تعالى : ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ [البقرة : ١٨٠] ، وقال القرطبي (١/ ٥٥٨): الخير هنا المال من غير خلاف، وصرحت الشافعية بندبية الوصية في المال من غير التفريق بين القليل والكثير .

وقال أبو الفرج السرخسي : إن كان المال قليلاً ، والعيال كثيراً استحب له توفرته لهم، ذكره في الفتح (٥/ ٣٥٧)وقال :وقد تكون الوصية بغير المال، كأن يعين من ينضر في مصالح ولده أو يعهد إليهم، بما يفعلونه من بعده مصالح دينهم ودنياهم .وقال: قال العلماء : لا يندب أن يكتب جميع الأشياء المحقرة ، ولا ما جرت العادة بالخروج منه والوفاء له عن قرب والله أعلم .

مقدار الوصية :

أطلق القرآن الكريم أمر الوصية فقال تعالى : ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾[النساء : ١١] وقيدت السنة الوصية بالثلث كما تقدم في حديث سعد في الصحيحين وحديث أبي هريرة عند ابن ماجة .

قال ابن حجر الفتح (٣٦٩/٥): «واستقر الإجماع على منع الوصية بأزيد من الثلث » .

ولكن اختلف فيمن له وارث ..وفيمن لم يكن له وارث ، و قد قالت الحنفية بجواز الزيادة على الثلث لمن لا وارث له ، قال الحافظ (٥/ ٣٧٣):وبقوله في حديث سعد ابن أبي وقاص وكان بعد ذلك الثلث جائزاً .فإن مفهومه أن الزائد على الثلث ليس بجائز وبأنه - ﷺ - منع سعد من الوصية بالشطر ولم

(١) راجع الوصية الشرعية(أحكامها - أركانها - شروطها) للدكتور مسلم اليوسف .

يستثن صورة الإجازة واستحب الشافعي - رحمه الله - النقص عن الثلث وفي البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :لو غض الناس إلى الربع ، لأن رسول الله - ﷺ - قال :« **الثلث والثلث كثير** »(١).

وفصل الإمام النووي في ذلك فقال في شرح مسلم :إن كان الورثة فقراء استحب له أن ينقص وإن كانوا أغنياء فلا .

جاء عن أبي بكر أنه أوصى بالخمس، وقال معمر عن قتادة :أوصى بالربع وعن علي - رضي الله عنه - قال:لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أن أوصي بالثلث .

واختار علي وابن عباس وعائشة - رضي الله عنهم - لمن له مالٌ قليل ، وله ورثة ترك الوصية، وعند ابن أبي شيبة عن ابن أبي مليكة عن عائشة - رضي الله عنها - قال لها : إني أريد أن أوصي، قالت :وكم مالك ؟ ، قال : ثلاثة آلاف، قالت : فكم عيالك ؟ قال :أربعة، قالت :إن الله تعالى يقول :﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ وهذا شيء يسير فدعه لعيالك فإنه أفضل لك (٢).

لا وصية لوارث :

عن أبي أمامة الباهلي- رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول في خطبته عام حجة الوداع: « **إن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية لوارث** » رواه الترمذي (٣).

قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : وَجَدْنَا أَهْلَ الْفُتْيَا وَمَنْ حَفِظْنَا عَنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْمَغَازِي مِنْ قُرَيْش وَغَيْرِهِمْ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَنَّ النَّبِيّ - ﷺ -قَالَ عَامَ الْفَتْحِ :« **لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ** » وَيُؤْثِرُونَ عَمَّنْ حَفِظُوهُ عَنْهُ مِمَّنْ لَقَوْهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ،

---

(١) في البخاري -كتاب الوصايا - باب الوصية بالثلث - حديث :٢٥٤٣.
(٢) تفسير القرطبي(١/ ٥٥٩- ٥٩٠).
(٣)أخرجه الترمذي في الوصايا - باب ما جاء لا وصية لوارث حديث:٢١٢١ورواه غير الترمذي عدد من الأئمة.

فَكَانَ نَقْل كَافَّة عَنْ كَافَّة ، فَهُوَ أَقْوَى مِنْ نَقْل وَاحِد [١].

قال القرطبي (٤/٢): واختلفوا في الرجل يوصي لبعض ورثته بمال، ويقول في وصيته: إن أجازها الورثة فهي له، وإن لم يجيزوه فهو في سبيل الله، فلم يجيزوه.

فقال مالك: إن لم تجز الورثة ذلك رجع إليهم.

وفي قول الشافعي وأبي حنيفة،ومعمر صاحب عبد الرزاق يمضي في سبيل الله.

الوصية للأقربين (غير الورثة):

قال القرطبي(٣/٢): الوصية للأقربين أولى من الأجانب، لنص الله تعالى عليهم، حتى قال الضحاك: إن أوصى لغير قرابته فقد ختم عمله بمعصية .

وروي عن ابن عمر – رضي الله عنهما –أنه أوصى لأمهات أولاده لكل واحدة بأربعة آلاف .

وروي أن عائشة – رضي الله عنها –وصت لمولاة لها بأثاث البيت .وروي عن سالم بن عبد الله بمثل ذلك.

وقال الحسن :إن أوصي بغير الأقربين ردت الوصية للأقربين فإن كانت لأجنبي فمعهم، ولا تجوز لغيرهم مع تركهم .

ثم عدد أقوال أهل العلم في ذلك ورجح رحمه الله الأقوال المتقدمة بالوصية للأقربين .

وفي المغني (١٣٤/٨): وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَجْعَلَ وَصِيَّتَهُ لِأَقَارِبِهِ الَّذِينَ لَا يَرِثُونَ ، إذَا كَانُوا فُقَرَاءَ ، فِي قَوْلِ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ عَلِمْت فِي ذَلِكَ ، إذَا كَانُوا ذَوِي حَاجَةٍ،

(١) الفتح (٥/ ٣٧٢).

وَذَلِكَ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ، فَخَرَجَ مِنْهُ الْوَارِثُونَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ - ﷺ - :« لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ » وَبَقِيَ سَائِرُ الأَقَارِب عَلَى الْوَصِيَّةِ لَهُمْ . وَأَقَلُّ ذَلِكَ الاسْتِحْبَابُ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ فَبَدَأَ بِهِمْ وَلأَنَّ الصَّدَقَةَ عَلَيْهِمْ فِي الْحَيَاةِ أَفْضَلُ ، فَكَذَلِكَ بَعْدَ الْمَوْتِ.

الفائدة السادسة عشر : مشروعية نقل الميت للمصلحة:

لا شك أن يوسف - عليه السلام - طلب من بني إسرائيل عند خروجهم نقل جثته معهم إذا خرجوا من مصر،وكان ذلك بعد مجيء الأحفاد في زمن موسى- عليه السلام- بأربعة قرون .

وفي(إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة) لمؤلفه أحمد أبي بكر البوصيري، في كتاب المساجد بوب على حديث العجوز قائلاً: « باب في نقل عظام الميت ».

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح - (٣/٢٠٧): وهو يسرد كلام أهل العلم في الحكمة من طلب موسى - عليه السلام - أن يدفن بقرب الأرض المقدسة قال :قيل إنما طلب موسى الدنو لأن النبي يدفن حيث يموت ولا ينتقل، وفيه نظر لأن موسى قد نقل يوسف - عليهما السلام - معه لما خرج من مصر .

وثبت في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : أتى رسول الله - ﷺ - عبد الله بن أبي بعد ما أدخل حفرته ، فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ، ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه [١].

(١) أخرجه البخاري في الجنائز - باب هل يخرج الميت من القبر واللحد لعلة حديث :١٣٥٠، وقد تقدم في الفائدة الثالثة تعليل فعله ﷺ ذلك مع رأس النفاق ابن أبي .

قال ابن حجر معلقاً على تبويب البخاري لهذا الحديث - باب هل يخرج الميت من القبر واللحد لعلة، قال :أي لسبب، وأشار بذلك إلى الرد على من منع إخراج الميت من قبره مطلقاً أو لسبب دون سبب ، كمن نص الجواز بما لو دفن بغير غسل أو بغير صلاة فإن حديث جابر الأول - في قصة ابن أبي دلالة على الجواز إذا كان في نبشه مصلحة تتعلق به من زيادة البركة له . الفتح (٣/ ٢١٥).

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : وفيه دليل على جواز إخراج الميت من قبره إذا كان في ذلك مصلحة له من زيادة البركة عليه ونحوها .

عن جابر - رضي الله عنه - قال : دفن مع أبي رجل فلم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته هنية ، غير أذنه) ا.هـ.

قال ابن حجر (الفتح ٣/٢١٥)معلقاً على هذا الحديث : وفيه دلالة على جواز الإخراج لأمر يتعلق بالحي لأنه لا ضرر على الميت في دفن ميت آخر معه وقد بين جابر ذلك بقوله :فلم تطب نفسي ا.هـ.

وذهب مالك والشافعي وأبو ثور إلى جواز نبش القبر إن دفن من غير غسل ، أو إلى غير قبلة فينبش القبر ، ويغسل وجهه ، ويصلى عليه ، وفي رواية للإمام أحمد إن دفن قبل الصلاة ينبش ويصلى عليه ، وعنه إن صلى على القبر جاز، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي لأن النبي - ﷺ - صلى على قبر المسكينة ولم ينبشها [١].

(١) المغني لابن قدامة (٣/ ٣٥٣- ٣٥٤)وقال بعد نقله لهذه الأقوال :فأما إن تغير الميت لم ينبش بحال .

الفائدة السابعة عشر: لا نشهد بالجنة والنار إلا لمن شهد له الله ورسوله ﷺ:

إن نبي الله موسى- عليه السلام- لما طلبت منه المرأة العجوز أن تكون معه في الجنة«كره ذلك »ولم يعطها ذلك إلا بوحي من الله تعالى :«فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها » وفائدة ذلك أن لا نشهد لأحد بجنة ولا بنار إلا بنص صحيح من الشريعة المباركة.

الأدلة الواردة في منع الشهادة لأحد بالجنة إلا بنص :

١ - عند البخاري قالت أم العلاء في قصة عثمان بن مظعون :رحمة الله عليك يا أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي - ﷺ - :«وما يدريك إن الله أكرمه؟» فقلت:بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن يُكرمه الله ؟فقال :«أما هو فقد جاءه اليقين ، والله إني لأرجو له الخير ، والله ما ادري وأنا رسول الله ما يفعل بي، قالت فوالله لا أزكي أحداً بعدُ أبداً .

والشاهد منه أنه أنكر قولها :لقد أكرمك الله، والتي يلزم منها الشهادة له بالجنة.

٢- عن كعب بن عجرة -رضي الله عنه- عندما مرض وأتاه النبي- ﷺ- فقال له: «أبشر يا كعب» ، فقالت أمه:هنيئاً لك الجنة يا كعب، فقال النبي - ﷺ -: «من هذه المتألية على الله؟ »، قال:هي أمي يا رسول الله، قال :«وما يدريك يا أم كعب ؟ لعل كعباً قال :ما لا ينفعه ، أو منع ما لا يغنيه»رواه الطبراني [(١)].

والدليل في هذا على ما ذكرناه واضح بين :

٣- عن سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه-أن رسول الله - ﷺ - التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله - ﷺ - إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم ، وفي أصحاب رسول الله - ﷺ - رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا أتبعها يضربها بسيفه، فقالوا:ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان، فقال :«إنه من

(١) في الأوسط (٧١٥٧) وحسنه الألباني في الصحيحة (٣١٠٣).

أهل النار» فقالوا:أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟، فقال رجل من القوم :لأتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه حتى جرح فأستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض ، وذبابه بين يديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء رجل إلى النبي – ﷺ –فقال :أشهد أنك رسول الله فقال:«وما ذاك ؟» فأخبره فقال : «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة** »[1].

من كلام السلف:

ذهب الجمهور – رحمهم الله – إلى عدم الشهادة لأحد بجنة ولا بنار إلا من شهد له الله ورسوله – ﷺ – .

قال الإمام الطحاوي في العقيدة الطحاوية ص١٨: نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بجنة، ونستغفر لسيئهم ، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم .

وقال ص٢١: ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، ونصلي على من مات منهم، ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً.

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله – شرح الطحاوية (ص٣٢):

امتنع القطع لأحد معين من الأمة، غير من شهد له الرسول – ﷺ – بالجنة، ولكن نرجو للمحسنين ، ونخاف عليهم.

وقال - رحمه الله- (شرح الطحاوية)ص٣٨٧: يريد أنا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة أنه من أهل الجنة أو من أهل النار، إلا من أخبر الصادق– ﷺ – أنه من أهل الجنة كالعشرة المبشرين بالجنة – رضي الله عنهم – وإن كنا نقول:إنه لا بد أن

---

(١) أخرجه البخاري – باب غزوة خيبر – حديث :٤٢٠٧ ومسلم في الإيمان –باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه حديث:١١٢.

يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار ، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا نقف في الشخص المعين، فلا نشهد له بالجنة ولا نار إلا عن علم ، لأن الحقيقة باطنة، وما مات عليه لا نحيط، ولكن نرجو للمحسنين، ونخاف على المسيئين .

قال الإمام ابن قدامة في لمعة الاعتقاد :

وكل من شهد له النبي - ﷺ - بالجنة شهدنا له كقوله :«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» وقوله «الثابت بن قيس إنه من أهل الجنة » ولا ننزل أحداً من أهل القبلة جنة ولا نار إلا من نزل له رسول الله - ﷺ - لكنا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء .

قال العلامة الفوزان معلقاً على كلام ابن قدامة (شرح لمعة الاعتقاد ص ٣٥): لأن دخول الجنة والنار من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله - عز وجل - وما أعلم به رسول الله أما نحن فلا نعلم الغيب ولا ندري ماذا يكون خاتمة هذا الرجل، هل هي خير أو شر ؟ولو ظهر منه العمل الصالح والطاعات، فهذا لا يوجب لنا الجزم له بالجنة، لكن هذا يجعلنا نرجو له الجنة، ونحسن به الظن ا.هـ.

قال الإمام أحمد في أصول السنة ص٥٠: ولا نشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار ، نرجو للصالح ، ونخاف عليه، ونخاف على المسيء المذنب، ونرجو له رحمة الله ا.هـ

وقال الإمام أبو عمر الداني الرسالة الوافية ص٩٦: ومن قولهم:أن لا ينزل أحد من أهل القبلة جنة ولا نارا إلا من ورد التوقيف بتنزيله، وجاء الخبر من الله تبارك وتعالى ، ورسوله من عافية أمره .

وقال الإمام البربهاري في شرح السنة ص٣٠: ومن كان من أهل الإسلام فلا تشهد

له بعمل خير ولا شر فإنك لا تدري بما يختم له عند الموت نرجو له رحمة الله ، ونخاف عليه ذنوبه ، ولا ندري ما سبق له عند الموت إلى الله من الندم ، وما أحدث الله في ذلك الوقت إذا مات على الإسلام نرجو له الرحمة ، ونخاف عليه ذنوبه ، وما من ذنب إلا وللعبد منه توبة ا.هـ

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني ﵀ (اعتقاد أصحاب الحديث ص٩٦):

ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة لا يدري أحد بما يختم له، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من الجنة، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار ، لأن ذلك مغيب عنهم لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان أعلى الإسلام أم على الكفر .

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – في كتابه (جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية) :لا أحد يشهد لأحد بالجنة أو النار إلا من ثبت له ذلك .

وفي التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية لأئمة الدعوة السلفية :الذي عليه أهل السنة والجماعة : أن هم لا يشهدون لأحد بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله – ﷺ –وأخبر عنه بذلك، ولكنهم يرجون للمحسن، ويخافون على المسيء، وبهذا تعلم ما عليه كثير من الناس إذا ذكروا عالماً أو أميراً أو ملكاً أو غيرهم، قالوا :المغفور له أو ساكن الجنان، وأنكى من ذلك قولهم :نقل إلى الرفيق الأعلى، ولا شك أن هذا قول على الله بلا علم كما قال تعالى :﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف : ٣٣] .ا.هـ

فهذا كلام هؤلاء العلماء الأجلاء في هذه المسألة وخلاصته :

١- أننا لا نشهد لأحد بجنة ولا بنار وذلك لأمور:

أولاً :لأنه من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى وما كان يوحي

لأنبيائه ، وقد تقدم معنا التكلم على مسألة اختصاص المولى بعلم الغيب .

ثانياً: الأعمال بالخواتيم والنبي - ﷺ - يقول كما في البخاري ومسلم : «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** »[(١)].

٢- ومع ذلك فإننا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء .

٣- ويستثنى من ذلك من شهد لهم الله ورسوله - ﷺ - وجاء ذكر ذلك وتعينه في الكتاب العزيز، والسنة النبوية الصحيحة الثابتة عن رسول الله - ﷺ - فيجب على المسلم تصديقاً لكتاب الله وسُنَّة رسوله - ﷺ - أن يشهد لهم بالجنة أو بالنار ، ومن اعترض ذلك فقد وقع في خطر عظيم وإثم كبير وشك في كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - .

قال الإمام البربهاري - رحمه الله - شرح السنة (ص٣٨): (ومن لم يشهد لمن شهد له رسول الله - ﷺ - بالجنة، فهو صاحب بدعة وضلالة شاك فيما قال رسول الله - ﷺ -) أ . هـ .

هل يقال فلان شهيد؟ :

مما تقدم - تقرر ألا نشهد لأحد بجنة ولا نار إلا من شهد له الله ورسوله - ﷺ - ومثل ذلك أن نشهد لفلان بعينه أنه شهيد، فيلزم إطلاقنا هذا اللفظ على شخص بعينه أنه من أهل الجنة ، وما تقدم من العلل في النهي عن الحكم لشخص بعينه بجنة أو نار يتنزل هنا، وفي صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال :«**مثل المجاهد في سبيل الله ، والله**

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم حديث:٣٢٠٨، ومسلم في القدر - باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه حديث :٢٦٤٣.

أعلم بمن يجاهد في سبيله »[١].

ولقد بوب البخاري «باب لا يقال فلان شهيد» وذكر هذا الحديث معلقاً ثم وصله بعد ذلك .

فالبواطن لا يعلمها إلا الله وإن كان ظاهر الإنسان الصلاح والخير والجهاد إلا أنه يبقى أمر نيته وصدقه في عمله ، فأمره في ذلك إلى ربه، وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :«**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار** »[٢].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه -أن رسول الله - ﷺ -قال : «**تكفل الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه إلا الجهاد و والإيمان بالله ورسوله وتصديقاً له إن توفاه أن يدخله الجنة ، أو يرده إلى بيته الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر وغنيمة**»[٣] وكل هذه الشروط المذكورة في الحديث هي بواطن الأمور لا يعلم حقيقتها في الشخص إلا علام الغيوب .

وقد ورد النهي الصريح عن قول هذه الكلمة وإطلاقها على من لم يرد النص بذكرهم بذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسند أحمد والنسائي وغيرهما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - :«تقولون في مغازيكم فلان شهيد، ومات فلان شهيد ، ولعله قد أوقر راحلته ، ألا لا تقولوا ذلكم ولكن قولوا كما قال رسول الله - ﷺ -:«**من مات في سبيل الله أو قتل فهو شهيد**»قال الحافظ الفتح (٦/ ٩٠): وهو حديث حسن وقال الحاكم في المستدرك (٢٥٢١)هذا حديث كبير صحيح...تواترت الأسانيد الصحيحة بصحة خطبة أمير المؤمنين عمر

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير- باب : أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله - حديث:٢٧٨٧.

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) أخرجه البخاري - في الجهاد والسير باب أفضل الناس مؤمن معاهد بنفسه وماله في سبيل الله -حديث :٢٧٨٧ ومسلم في الإمارة -باب فضل الجهاد حديث :١٨٧٦.

ابن الخطاب - رضي الله عنه - وصححه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد - رحمه الله - .

وخطبة عمر هذه كانت على المنبر النبوي،والصحابة متوافرون يسمعون، ومع ذلك لم ينكر عليه أحد، أو يعرف له مخالف في نهيه هذا، وقد جاء عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -ما يؤكد ذلك ففي مسند أحمد قال عبد الله ابن مسعود- رضي الله عنه -:إياكم أن تقولوا مات فلان شهيد أو قتل فلان شهيداً ، فإن الرجل يقاتل ليغنم أو يقاتل ليذكر، ويقاتل ليرى مكانة فإن كنتم شاهدين لا محالة فاشهدوا للرهط الذي بعثهم رسول الله - ﷺ -في سرية فقتلوا فقالوا:اللهم بلغ نبينا - ﷺ -عنا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا .

قال العلامة أحمد شاكر : إسناده ضعيف لانقطاعه وأصل معناه صحيح .

ولقد توسع كثير من الناس في إطلاق كلمة «شهيد »ولم يقتصروا في إطلاقها على من عرف بالصلاح أو قتل في معركة مجاهداً - نحسبه والله حسيبه - وإن كان هذا مما تقدم النهي عنه ، ولكن الأعظم من هذا أن كلمة «شهيد»أصبحت تطلق على كل شخص قتل في معركة كان أو حادثة سيرٍ ، أو تحطم طائرة ، أو في خدمة الأمن والقيامٍ بواجبه فيجزم له بالشهادة يقيناً ، وكان ينبغي لهم أن يحتسبوه عند الله شهيداً، ويدعو له بأن يبلغه الله تلك المنزلة .

والأدهى من ذلك أن بعض من يطلق عليه هذا اللفظ، لا يعرف بصلاح بل ربما بصلاة، و لربما كان ممن عرف بالفسق ، والفجور ، والعربدة فما أن يموت بحادث أو غيره إلا و قالوا :الشهيد فلان، وفلان شهيد الواجب، وفلان شهيد الوطن، وفلان شهيد الثورة وما إلى ذلك من هذه الألقاب التي لا تغني عمن قيلت فيه شيئاً ، لا سيما إن كان من أهل الفجور - نسأل الله العافية - وأن يغفر للمسلمين والمسلمات ويتجاوز عن سيئاتهم.

الفائدة الثامنة عشر: العلم طريق إلى الجنة:

إن من نعم الله على هذه العجوز ، أن رزقها علماً تفردت به من بين بني إسرائيل، فكان سبباً في دخولها الجنة فلولاه لما استطاعت أن تشترط على نبي الله موسى - عليه السلام -، ولكنها امتلكت العلم، والذي كان الناس بحاجته للخروج من المأزق الذي هم فيه، ومع العلم كانت الهمة العالية ، والإخلاص والصدق في طلب الجنة، فوفقها الله تعالى لأن تكون من أهل الجنة، ونبينا محمد - ﷺ - يذكرنا بهذه الفضيلة للعلم ، فيقول - ﷺ - كما في مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة »** [(١)].

والطريق هنا كان حسياً أو معنوياً ، و«علما»نكرة ليشمل كل نوع من أنواع علوم الدين قليلة أو كثيرة ، إذا كان بنية القربة ، والنفع ، والانتفاع [(٢)].

قال الإمام أحمد - رحمه الله - :الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة ، أو مرتين ، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس.

وإن من شرف العلم وفضله ، أن الله سبحانه وتعالى ذكر فضله ، ومنته على أنبيائه ، ورسله ، وأوليائه بما آتاهم من العلم :

فذكر نعمته على خاتم أنبيائه ، ورسله - ﷺ - بقوله تعالى : ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء : ١١٣]، وقال في يوسف : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف : ٢٢]، وقال في موسى:

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن حديث:٢٦٩٩.
(٢) تحفة الأحوذي :(٧/ ٣٣٩).

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤)﴾ [القصص : ١٤]، وقال في عيسى : ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [المائدة : ١١٠]، وقال في داود: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠)﴾ [ص : ٢٠] ، وفي حق الخضر: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥)﴾ [الكهف : ٦٥]، وقال في داود وسليمان : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء : ٧٩] ، وامتن على هذه الأمة بالعلم والحكمة فقال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)﴾ [آل عمران ، ١٦٤][1].

العلم كنز لا نفاد له ∴ نعم القرين إذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المرء مالاً ثم يسلبه ∴ عما قليل فيلقى الذل والخربا
وجامع العلم مغبوط به أبداً ∴ فلا يحاذر فوتاً لا ولا هربا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ∴ لا تعدلن به دراً ولا ذهبا

قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - **:** من شرف العلم وفضله أن كل من نسب إليه فرح بذلك ، وإن لم يكن من أهله، وكل من دفع عنه نسب إلى الجهل ، عز عليه ونال ذلك من نفسه وإن كان جاهلاً[2] .

حرص السلف على العلم :

ولما كان العلم بهذه المنزلة، وأعظمها وأنه طريق إلى جنة عرضها السموات

(١) صلاح الامة(١/ ١٥٠ – ١٥١).
(٢) المجموع للنووي (١/ ١٤)نقلاً عن صلاح الأمة (١/ ١٥٣).

والأرض كان السلف -رضوان الله عليهم - من أحرص الناس على العلم ، والكتب زاخرة بذكر ذلك عنهم ومن ذلك :

١- حرص الفاروق عمر - رضي الله عنه - :

جاء في البخاري عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال :«كنت أناوجار لي من الأنصار، في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على رسول الله - ﷺ - ينزل يوماً ، وأنزل يوماً ، فإذا نزل جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك» (١) .

٢- عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - :

روى البخاري عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال :«والذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أناأعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه »

٣- أبو الدرداء - رضي الله عنه - :

قال - رضي الله عنه - :لو أنسيت آية لم أجد أحدا يذكرنيها ، إلا رجلاً ببرك الغمد - موضع في اليمن - رحلت إليه».

قال ابن إسحاق: كان الصحابة يقولون :اتبعنا للعلم ،والعمل أبو الدرداء.

٤- أبو هريرة - رضي الله عنه - :

في البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه -قال :إنكم تقولون :إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله - ﷺ -، وتقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثله، وإن إخواني المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكان

(١) أخرجه البخاري في العلم - باب التناوب في العلم حديث:٨٩.

إخواني من الأنصار يشغلهم عمل أموالهم، وكنت مسكيناً من مساكين الصفة، ألزم رسول الله - ﷺ - على ملئ بطني ، فأحضر حين يغيبون ، وأعي حين ينسون، وقد قال رسول الله - ﷺ - في حديث يحدثه يوماً :«إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي جميع مقالتي ، ثم يجمع إليه ثوبه ، إلا وعي ما أقول »فبسطت نمرة علي ، حتى إذا قضى مقالته ، جمعتها إلى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله - ﷺ - تلك من شيء [١].

٥- عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - :

قال :وجدت عامة علم رسول الله - ﷺ - عند هذا الحي من الأنصار إن كنت لآتي الرجل منهم، فيقال :هو نائم ، فلو شئت أن يوقظ لي لأوقظ ، فأدعه حتى يخرج ، لأستطيب بذلك .

وعند ابن سعد : لو شئت أن يوقظ لي لأوقظ، فأجلس على بابه، تسفي الريح على وجهي التراب ، حتى يستيقظ متى استيقظ، فأسأله عما أريد، ثم أنصرف [٢].

٦- سفيان الثوري - رحمه الله - :

جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٣٧٢) ، قال أبوشهاب الحناط قال: بعثت أخت سفيان الثوري معي بجراب إلى سفيان ، وهو بمكة فيه كعك ، وخشكنانج، فقدمت مكة فسألت عنه فقيل لي: إنه ربما قعد دبر الكعبة مما يلي باب الحناطين، قال فأتيته هناك، وكان لي صديق، فوجدته مستلقيا فسلمت عليه فلم يسألني تلك المساءلة ، ولم يسلم علي كما كنت أعرف منه، فقلت له: إن أختك بعثت إليك معي بجراب فيه كعك وخشكنانج.

قال: فعجل به علي. واستوى جالسا. فقلت: يا أبا عبد الله أتيتك وأنا

(١) أخرجه البخاري في البيوع - باب ما جاء في قول الله ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ ﴾ [الجمعة : ١٠] حديث: ٢٠٤٧.

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٤٤).

صديقك فسلمت عليك فلم ترد علي ذاك الرد، فلما أخبرتك أني أتيتك بجراب كعك لا يساوي شيئا جلست وكلمتني. فقال: يا أبا شهاب لا تلمني فإن هذه لي ثلاثة أيام لم أذق فيها ذواقا فعذرته.

قلت للفقر أين أنت مقيم .·. قال لي في عمائم الفقهاء
إن بيني وبينهم لإخاء .·. وعزيز علي قطع الإخاء

٧- عبد الرحمن القاسم العنفي المصري:

في ترتيب المدارك (٣/ ٢٥٠) ، قال ابن القاسم :وأنخت بباب مالك سبع عشرة سنة ، ما بعث فيها ولا اشتريت شيئاً ، قال :فبينما أنا عنده ، إذ أقبل حاج مصر ، فإذا شاب متلثم دخل علينا ، فسلم على مالك ، فقال :أفيكم ابن القاسم ؟فأشير إلي ، فأقبل يقبل عيني، ووجدت منه ريحاً طيبة ، فإذا هي رائحة الولد ، وإذا هو ابني ، وكان ابن القاسم ترك أمه حاملاً به ، وكانت ابنة عمه ، وقد خيرها عند سفره لطول إقامته ، فاختارت البقاء.

٨- هشام بن عمار - شيخ البخاري- :

وفي معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ١٩٦) ، قال الحافظ جزرة :سمعت هشام بن عمار يقول :دخلت على مالك بن أنس، فقلت له :حدثني ، فقال: اقرأ فقلت:لا بل حدثني ، فقال :اقرأ ، فلما راددته ، قال :يا غلام ، تعال اذهب بهذا فأضربه خمسة عشر جلدة ، قال فذهب بي ، فضربني خمس عشرة درة ، ثم جاء بي إليه ، فقال :قد ضربته ، فقلت :قد ظلمتني !ضربتني خمس عشرة درة بغير جرم ، لا أجعلك في حل ، فقال مالك :فما كفارته ؟ ، قلت كفارته أن تحدثني بخمسة عشر حديثاً ، فقال :فحدثني بخمسة عشر حديثاً ، فقلت له :زد من الضرب ، وزد في الحديث فضحك مالك وقال :اذهب.

الفائدة التاسعة عشر: حقارة الدنيا:

حين ضرب النبي - ﷺ - المثل بعجوز بني إسرائيل، وطلبها للجنة، بمقابل طلب الأعرابي للدنيا، كان ذلك تنبيهاً من رسول الله - ﷺ - وإشارة إلى حقارة هذه الدنيا، وضعتها عند الله -تبارك وتعالى-، وقد بوب الإمام ابن حبان على هذا الحديث فقال - رحمه الله - «ذكر الخبر الدال على أن لا يعتاض عن أسباب الآخرة بشيء من حطام هذه الدنيا الفانية الزائلة عند حدوث حالة».

والدنيا سميت دنيا لسببين:

الأول: أنها أدنى من الآخرة، لأنها قبلها.

الثاني: أنها دنيئة [١].

ومما يبين دناءة هذه الدنيا أمام الآخرة، وأنها لا تساوي شيئاً أمامها ما يذكره - ﷺ - في عدد من الأحاديث النبوية الصحيحة، ومن ذلك.

١- عن المستورد بن شداد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بما رجع» [٢].

٢- عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال رسول الله - ﷺ -: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟، هل مر بك نعيم قط؟، فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟، هل مر بك شدة قط؟، فيقول: لا والله ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط» رواه مسلم [٣].

٣- عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لو كانت

---

(١) شرح رياض الصالحين للعثيمين (١/ ٧٨٨).

(٢) رواه مسلم في الجنة ونعيمها باب فناء الدنيا حديث:٢٨٥٨.

(٣) أخرجه مسلم في صفات المنافقين - باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار :٢٨٠٧.

الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء» رواه الترمذي [١] .

زهده- ﷺ - في الدنيا :

لقد كان رسول الله - ﷺ - أزهد الناس في هذه الدنيا إذ هو أعلم الناس بقيمتها ، ووزنها عند الله تعالى، ولما خير - ﷺ -بين أن يعطى مفاتيح الدنيا ، والخلد فيها ، وبين الجنة فاختار الجنة على ذلك - ﷺ - .

وعن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- قال :ذكر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ما أصاب الناس من الدنيا ، فقال :لقد رأيت رسول الله - ﷺ - يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه رواه مسلم [٢] والدقل رديء الثمر .

وتخبرنا عائشة - رضي الله عنها - عن زهده - ﷺ -قالت :«توفي رسول الله - ﷺ - وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد ، إلا شطر شعير في رق لي ، فأكلت منه حتى طال علي ، فكلته ففني» متفق عليه [٣].

وقالت : «إن كنا لننظر إلى الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقد في أبيات رسول الله - ﷺ - نار، قال : قلت :يا خالة !فما كان يعيشكم ؟ قالت الأسودان التمر والماء»رواه مسلم [٤].

وتقول - رضي الله عنها - لقد مات رسول الله - ﷺ - وما شبع من خبز ، وزيت في يوم واحد ، مرتين . رواه مسلم [٥].

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال : كان رسول الله -ﷺ-يبيت الليالي

(١) أخرجه الترمذي في الزهد - باب ما جاء في هوان الدنيا على الله حديث:٢٣٢٠.
(٢) أخرجه مسلم في الزهد - باب الدنيا سجن المؤمن حديث:٢٩٧٨.
(٣)أخرجه البخاري-فرض الخمس-باب نفقة نساء النبي بعد وفاته حديث:٣٠٩٧ومسلم في الزهد حديث:٢٩٧٣.
(٤) رواه مسلم في الزهد حديث:٢٩٧٢.
(٥) مسلم في الزهد حديث:٢٩٧٤.

المتتابعات طاوياً ، وأهله لا يجدون عشاءً ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير. رواه الترمذي (١).

وقال – ﷺ – : «**ما لي وللدنيا ؟ما أنا في الدنيا ، إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**» رواه الترمذي (٢).

خير من الدنيا وما فيها:

لقد جاءت السُنة بذكر عدد من الأمور، والتي يقول النبي – ﷺ – فيها خير من الدنيا وما فيها، وبهذا يتبين لنا حقارة الدنيا ، ودناءة هذه الحياة مقابل ما ذكره – ﷺ – **من أمور الآخرة ومن ذلكم :**

١ – عن عائشة – رضي الله عنها – قالت :قال رسول الله – ﷺ – :«**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها** »رواه مسلم وفي رواية لهما «**أحب إلي من الدنيا جميعاً**» (٣) فما بالك بالفريضة .

٢– عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : «**لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله، والله أكبر ، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس** »رواه مسلم (٤).

٣– عن سهل بن سعد الساعدي – رضي الله عنه –:أن رسول الله – ﷺ – قال :«رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله ، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها »رواه البخاري (٥) .

(١) أخرجه الترمذي – باب معيشة النبي وأهله حديث: وحسنه الالباني٢٣٦٠.
(٢) أخرجه الترمذي في الزهد :٢٣٧٧ عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – .
(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين – باب استحباب ركعتي سنة الفجرحديث:٧٢٥.
(٤) أخرجه البخاري في الذكر باب فضل التهليل والتسبيح حديث:٢٦٩٥.
(٥) أخرجه البخاري في الجهاد والسير – باب فضل رباط يوم في سبيل الله حديث:٢٨٩٢.

القناعة من الدنيا بالقليل :

عن عبد الله بن محصن - رضي الله عنه - قال :قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :«من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا »رواه الترمذي [١]ومعنى(حيزت) جمعت.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :**«قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً ، وقنعه الله بما آتاه»** [٢].

وجاء رجل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - فسأله فقال :ألسنا من فقراء المهاجرين؟، فقال عبد الله :ألك امرأة تأوي إليها ؟ ، قال :نعم ، قال: ألك مسكن تسكنه؟ ، قال نعم، قال:فأنت من الأغنياء ، قال :فإن لي خادماً ، قال:فأنت من الملوك ، رواه مسلم [٣].

الفائدة العشرون : من طلب الجنة بصدق بلغه الله إياها:

لما كانت نية تلك العجوز صادقة ، وطلبها للجنة بإخلاص كان من فضل الله عليها أن وفقها للجنة ، وبلغها تلك المنزلة .

ومثل هذا ما جاء في صحيح مسلم عن سهل بن حنيف - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : **«من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه »** [٤].

وفي حديث أنس في مسلم أيضاً قال - صلى الله عليه وسلم - : **«من طلب الشهادة صادقاً ،**

---

(١) أخرجه الترمذي حديث :٢٣٤٦ وحسنه الالباني .
(٢) أخرجه مسلم في الزكاة - باب الكفاف والقناعة حديث:١٠٥٤.
(٣) أخرجه مسلم في الزهد - باب الدنيا سجن المؤمن جنة الكافر حديث:٢٩٧٩.
(٤) رواه مسلم في الإمارة - باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله حديث:١٩٠٩، والترمذي في فضائل الجهاد حديث:١٦٥٣ ، وأبو داود في الصلاة حديث:١٥٢٠.

أعطيها ولو لم تصبه» [١].

قال الإمام النووي - رحمه الله - (شرح مسلم ١٣/ ٤٧):معنى الرواية الأولى مفسر من الرواية الثانية، ومعناهما جميعاً:أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطي من ثواب الشهداء، وإن كان على فراشه، وفيه :استحباب سؤال الشهادة واستحباب الخير .ا.هـ

وقوله «صادقاً» قال في تحفة الأحوذي :قيد به لأنه معيار الأعمال ومفتاح بركاتها ، وقال:«بلغه الله منازل الشهداء» فجازاه له على صدق طلبه ، «وإن مات على فراشه»ولو مات غير شهيد فهو في حكم الشهداء وله ثوابهم .

وقال المناوي: لأن كلاً منهما نوى خيراً ، وفعل مقدوره فاستويا في أصل الأجر ا.هـ

وفي سُنن الترمذي عن أبي كبشة الأنماري - ﷺ -قال : قال رسول الله - ﷺ - :**«إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً ، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقاً ، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ، ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية ، ويقول :لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالاً ، ولم يرزقه علماً ، فهو يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقاً ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالاً ، ولا علماً ، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيتة فوزرهما سواء»** [٢].

فصاحب العلم الفقير لما عقد عزمه على أنه لو كان له مال ، لفعل كما يفعل صاحب المال والعلم ، يؤجر على حسب نيته ويكون أجره مع الأول سواء وما ذاك إلا لصدق النية وطلب أبواب الخير بصدق.

---

(١) رواه مسلم في الإمارة - باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله حديث:١٩٠٨.
(٢) أخرجه الترمذي في الزهد - باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر حديث:٢٣٢٥.

الصادقون مع الله :

إن منزلة الصدق في الأقوال، والأفعال منزلة عظيمة، وهي طريق إلى الصديقية، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود - ﷺ - أن رسول الله - ﷺ - قال : « **إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً** » .

والله عز وجل أمر أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين ،فقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

و الصد يقون من الذين أنعم الله عليهم قال تعالى :﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء : ٦٩] ، و قال تعالى :﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد : ٢١] .

والصدق نجاة يوم القيامة قال تعالى :﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة : ١١٩].

وهؤلاء هم الصادقون مع الله :

١ -الصديق الأكبر أبو بكر - ﷺ - :

قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر : ٣٣].

وقال علي ابن أبي طالب - ﷺ - : والذي نفسي بيده إن الله سمى أبا بكر في السماء صديقاً.

٢- رجل من بني إسرائيل :

جاء في البخاري ومسلم عن أبي سعد الخدري- رضي الله عنه -قال : قال رسول الله – ﷺ – :« **كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب ، فأتاه فقال:إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا ، فهل له من توبة ؟ فقال: لا ، فقتله ، فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ،فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرا قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي ، فجعلوه بينهم ، فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة** »[(١)].

وفي رواية :«**فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر، فجعل من أهله**» وفي رواية : «فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي ، وإلى هذه أن تقربي ، وقال:قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له »وفي رواية «فنأى بصدره نحوها» وكل هذه الروايات في الصحيح .

فهذا الرجل من بني إسرائيل ، لما حمل في قلبه الصدق مع الله ، في توبته وانخراطه من ذنوبه ، وصل به الصدق ، عند نزعات الموت أن يتقدم إلى أرض التوبة بصدره ، ينأى وهو منطرح على الأرض .

فلما علم الله منه الصدق ، أمر له الأرض أرض الخير أن تقرب ، وأرض الشر أن تبعد، وقبضته ملائكة الرحمة ، لما أقبل على الله أقبل الله عليه .

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء :١٤٧٠ ومسلم في التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله حديث: ٢٧٦٦.

٣- ماعز بن مالك :

عن بريدة- رضي الله عنه -قال:جاء ماعز بن مالك إلى النبي- ﷺ -،فقال:يا رسول الله ، طهرني ، فقال : " **ويحك ، ارجع فاستغفر الله وتب إليه** " ، قال : فرجع غير بعيد، ثم جاء ، فقال : يا رسول الله ، طهرني ، فقال رسول الله - ﷺ - : "**ويحك ، ارجع فاستغفر الله وتب إليه** " ، قال : فرجع غير بعيد ، ثم جاء ، فقال: يا رسول الله ، طهرني ، فقال النبي - ﷺ - : مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة، قال له رسول الله : " **فيم أطهرك ؟** " ، فقال : من الزنى ، فسأل رسول الله - ﷺ -: " **أبه جنون ؟**" فأخبر أنه ليس بمجنون ، فقال:" **أشرب خمرا ؟**" فقام رجل فاستنكهه- يشمه - ، فلم يجد منه ريح خمر ، قال ، فقال رسول الله - ﷺ - : " **أزنيت ؟** " فقال : نعم ، فأمر به فرجم ، فكان الناس فيه فرقتين، قائل يقول : لقد هلك ، لقد أحاطت به خطيئته ، وقائل يقول : ما توبة أفضل من توبة ماعز ، أنه جاء إلى النبي - ﷺ - فوضع يده في يده ، ثم قال : اقتلني بالحجارة ، قال : فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ، ثم جاء رسول الله - ﷺ - وهم جلوس ، فسلم ثم جلس ، فقال : " **استغفروا لماعز بن مالك** " قال ، فقال رسول الله - ﷺ - : " **لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم** " (١) .

٤- الغامدية :

وفي مسلم عن بريدة - رضي الله عنه - فجاءت الغامدية ، فقالت: يا رسول الله، إني قد زنيت فطهرني ، وإنه ردها ، فلما كان الغد ، قالت : يا رسول الله ، لم تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزا ، فوالله إني لحبلى ، قال : « **إما لا فاذهبي حتى تلدي** » ، فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة ، قالت : هذا قد ولدته ، قال : « **اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه**» ، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز ، فقالت : هذا

---

(١) أخرجه مسلم في الحدود - باب في من اعترف على نفيه با لزنى حديث:١٦٩٥.

يا نبي الله قد فطمته ، وقد أكل الطعام ، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فيقبل خالد ابن الوليد بحجر ، فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها ، فسمع نبي الله - ﷺ - سبه إياها ، فقال : **«مهلا يا خالد ، فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»** (١).

فانظر إلى صدق ماعز بن مالك ، والغامدية في التوبة إلى الله تعالى ، والإصرار في التطهير من هذا الذنب ، فلما كان منهما الصدق كانت المغفرة التي أخبر عنها النبي - ﷺ - .

الفائدة الحادية والعشرون: ثمار الطاعة وبركتها:

وفي ختام خبر العجوز:«فلما أقلوها - عظام يوسف- فإذا الطريق مثل ضوء النهار » ، وما ذاك إلا بعد عودة بني إسرائيل إلى طاعة الله ، والقيام بالمواثيق والعهود إن هذه القصة لتحملنا إلى فائدة من فوائدها العظيمة، وهي ثمرة الطاعة ، ونورها على الفرد والمجتمع، وكيف أن البركة تحل على صاحب الطاعة يوم أن يكون مع ربه -تبارك وتعالى -.

وقد أرشدنا المولى - عز وجل - وكذلك رسوله -ﷺ- إلى عدد من الطاعات ، والتي بها تحل البركات ، وتُستجلب الخيرات ومن ذلك:

١- تقوى الله - عز وجل - و الاستقامة على دينه :

قال تعالى : ﴿ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف : ٩٦] ،وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[الطلاق :٢ ،٣]،وقال تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ

(١) رواه مسلم في الحدود - باب من اعترف على نفسه بالزنى حديث:١٦٩٥ .

أَرْجُلِهِمْ ﴾[المائدة : ٦٦] ، وقال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الجن : ١٦]

فكل هذه الآيات تشير إلى أن طاعة الله، وتقواه والاستقامة على دين الله تعالى من أعظم الأسباب إلى حصول الخير ،وجلب النعمة على الأمة بأسرها . وقيل لأحد الصالحين : إن الأسعار قد ارتفعت . قال : أنزولها بالتقوى.

وقد قيل : ما احتاج تقي قط.

٢- الصلاة:

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات : ٥٦، ٥٨] .

قال ابن كثير رحمه الله(التفسير ٣/١٧٩) : قوله: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب . وقال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه : ١٣٢].

وعند الترمذي في الحديث القدسي: « **يا ابن آدم ، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك ، وإن لا تفعل ملأت يدك شغلا ، ولم أسد فقرك** »[١].

قال ابن القيم الجوزية(زاد المعاد ٤/٢٠٩): الصلاةُ من أكبر العَوْن على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهي منهاةٌ عن الإثم، ودافعةٌ لأدواء القلوب، ومَطْرَدَةٌ للداءِ عن الجسد، ومُنوِّرةٌ للقلب، ومُبيِّضَةٌ للوجه، ومُنشِّطةٌ للجوارح والنفس، وجالِبةٌ للرزق، ودافعةٌ للظلم، وناصِرةٌ للمظلوم، وقامِعةٌ لأخلاط الشهوات، وحافِظةٌ للنعمة، ودافِعةٌ للنِّقمة، ومُنزِلةٌ

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة حديث:٢٤٦٦

للرحمة، وكاشِفة للغُمَّة.

وقال المناوي فيض القدير(٥/ ١٢٠): الصلاة معينة على دفع جميع النوائب بإعانة الخالق الذي قصد بها الإقبال عليه ، والتقرب إليه فمن أقبل بها على مولاه ، حاطه وكفاه لإعراضه عن كل ما سواه ، وذلك شأن كل كبير في حق من أقبل بكليته عليه.

٣- الحج والعمرة:

ثبت عن النبي - ﷺ - أنه قال : المتابعة بين الحج والعمرة سبب للغنى ، وطريق للبركة على المسلم ، وذلك عند الترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه -: **" تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد ، والذهب ، والفضة ، وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة**[1] .

قال المباركفوري التحفة: (٣/٥٣٩): (يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ) يَحْتَمِلُ الْفَقْرَ الظَّاهِرَ بِحُصُولِ غِنَى الْيَدِ ، وَالْفَقْرَ الْبَاطِنُ بِحُصُولِ غِنَى الْقَلْبِ.

٤- قراءة القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم مصدر كل خير ، فهو كتاب مبارك ، وشفاء للأسقام في القلوب والأبدان. قال تعال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص : ٢٩].

٥- الصدق في المعاملة:

عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا ، بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا ، محقت

(١) أخرجه الترمذي في الحج باب ما جاء في الثواب الحج والعمرة حديث: ٨١٠، والنسائي في مناسك الحج - باب المتابعة بين الحج والعمرة حديث٢٦٣١

بركة بيعهما. رواه البخاري ومسلم [١].

٦- إتباع السنة في الطعام:

عند البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال - ﷺ -: «**البركة تنزل في وسط الطعام فكلوا من حافته، ولا تأكلوا من وسطه**»، وفي مسلم عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أمر رسول الله - ﷺ - لعق الأصابع والصحفة، وقال: «**إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة**» [٢].

وقال - ﷺ -: «**طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة**» [٣] رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

وقال - ﷺ -: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء**» رواه مسلم عن جابر بن عبد الله [٤].

٧- السحور:

ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «**تسحروا فإن في السحور بركة**» [٥].

وبركة السحور تكمن في أنه طاعة لرسول الله - ﷺ - والخير في ذلك، وفيه

---

(١) أخرجه البخاري في البيوع باب كم يجوز الخيار حديث: ٢١٠٨، وأخرجه مسلم في لبيوع باب الصدق في البيع والبيان حديث ١٠٣٢.
(٢) أخرجه مسلم في الأشربة - باب لعق الأصابع والقصعة حديث: ٢٠٣٣.
(٣) أخرجه البخاري في الأطعمة - باب طعام الواحد يكفي الاثنين حديث: ٥٣٩٢ و ومسلم في الأشربة - باب فضيلة المواساة في الطعام حديث: ٢٠٥٨.
(٤) أخرجه مسلم الأشربة - باب آداب الطعام والشراب وأحكامها حديث: ٢٠١٨.
(٥) أخرجه البخاري في الصوم - باب بركة السحور من غير إيجاب حديث: ١٩٢٣، ومسلم في الصيام - باب فضل السحور وتأكيد استحبابه حديث: ١٠٩٥.

إعانة على طاعة الله من صيام وقراءاته وذكره ونحوه ، فيه حفظ قوة النفس والبدن ، فيه مخالفة لأهل الكتاب [١].

وعلى كل فإن الإستقامة على دين الله تعالى، سبب لكل بركة وخير في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله -:«أعظم الكرامة لزوم الإستقامة».

والله يقول:﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن:١٦].

الفائدة الثانية والعشرون : الفرج بعد الشدة :

قال ﷺ :(فاستخرجوا عظام يوسف ، فلما أقلوها إلى الأرض ، وإذا الطريق مثل ضوء النهار) فبعد الذي عاناه موسى ومن معه ، من الشدة جاءهم الفرج، وبعد الضيق كان المخرج ، ومع العسر يسراً .

والله تعالى يقول :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ (**الطلاق٢**).

قال عبد الله بن مسعود - ﷺ - : إن أكبر آية في القران فرجاً: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ يقول:ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة .

وجاءعن الربيع بن خيثم ،﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ ، قال : « المخرج من كل ما ضاق على الناس » .

وقال تعالى:﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾(الشرح:٥ـ٦).

(١) بتصرف من ـشرح أحاديث الصيام من كتاب بلوغ المرام)ناظم المسباح.

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : لو أن العسر دخل في جحر لجاء اليسر حتى يدخل معه ، ثم قال : قال الله – عز وجل – : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ .

وعن عبد الله بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أسلم ، أن أبا عبيدة حصر بالشام ، ونال منه العدو ، فكتب إليه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول : « مهما ينزل بأمرك شدة يجعل الله له بعدها فرجا ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وإنه يقول : ﴿ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠ ﴾ (آل عمران : ٢٠٠) .

وقال الحسن البصري : كانوا يقولون لايغلب عسر واحد يسرين اثنين

ومعنى (لن يغلب عسر يسرين) هو أن العسر معرف في الحالين فهو مفرد واليسر منكر فتعدد ولهذا قال: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ فالعسر الأول عين الثاني، واليسر تعدد [1].

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : كنت رديف رسول الله ﷺ ، فقال : " يا غلام ، أو يا غليم ، **ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟** " فقلت: بلى. فقال: " **احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إليه في الرخاء ، يعرفك في الشدة ، وإذا سألت ، فاسأل الله ، وإذا استعنت ، فاستعن بالله ، قد جف القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك ، لم يقدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك ، لم يقدروا عليه ، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا** " .

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٢) .

من قصص الفرج بعد الشدة

إن في الكتاب والسنة ، وآثار من مضى، العديد من القصص التي فرج الله عن أصحابها بعد الشدة والكرب ومن ذلك :

١- إبراهيم الخليل (إمام الحنفاء) :

وقف إبراهيم داعياً أباه وقومه إلى التوحيد، منكراً عليهم الشرك ، وعبادة الأوثان ، وكان ذلك في مناظرة ذكرها الله -عزوجل -في سورة الأنبياء، وبعد سقوط حجتهم و نكوس رأيهم ، عدلوا إلى استعمال القوة ، واستخدام الجاه فقالوا : ﴿ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأنبيا: ٦٨) .

فأوقدوا نارا عظيمة، لها شرر كبير ولهب مرتفع،وأرادوا بذلك الكيد بإبراهيم وماذاك إلا حنقاً،وانتقاماً لألهتهم،وأصنامهم،وبينما هو كذلك -عليه السلام -جاء الفرج من الله ، ورد الله كيد الكافرين في نحرهم :﴿ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ (غافر:٢٥) .

وأمر الله تعالى النار فقال : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الأنبياء٦٩-٧٠).

٢- أيوب الصابر المحتسب:

قال النبي- ﷺ -: **(أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل)** وقد كان أيوب - عليه السلام - غاية في الصبر ، وبه يضرب المثل في ذلك فيذكر عنه أن البلاء أصابه في ماله وولده ثم ابتلى في جسده بمرض يقال له الجذام ، وذلك

في سائر بدنه ، ولم يسلم سوى قلبه ، ولسانه ، ومع هذا تخلى عنه الناس ، فلا أحد يحنو عليه إلا ما كان من زوجته الوفية ، وبقي على هذه الحالة سنين قيل سبع ، وقيل ثلاث ، وقيل غير ذلك .

وبعد هذه المدة مع هذا البلاء العظيم . لم ييئس نبي الله أيوب من روح الله ، فلهج بالدعاء لربه قائلاً: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨٣) .

فاستجاب الله دعاءه ، وفرج كربه وبلاءه ، قال تعالى : ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨٤) .

يونس ـ عليه السلام ـ (ذا النون):

ركب نبي الله يونس في سفينة فاضطربت بهم ، وخافوا أن يغرقوا ، فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم ، يتخففون منه، فوقعت القرعة على يونس، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوا فوقعت عليه أيضاً ، فأبوا ، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضاً، قال تعالى : ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (الصافات: ١٤١) ﴿فَسَاهَمَ﴾ قارع أهل السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ المغلوبين فألقوه في البحر ، فألقي في البحر فأرسل الله له حوتاً ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (الصافات: ١٤٢) أي آت بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر ، وركوبه السفينة بلا إذن من ربه ، ولبث مدة في بطن الحوت ، محيطة به الظلمات ، قال ابن مسعود -رضي الله عنه -: ظلمات ثلاث : ظلمة الحوت ،وظلمة البحر، وظلمة الليل، وبينما هو في خضم تلك الظلمات والبلايا والكربات، علم أن له رباً يفرج الكروب، ويرفع الخطوب: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٧) .

فكان الجواب من المولى - عزوجل - : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الأنبياء:٨٨) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (الصافات: ١٤٣-١٤٤) .

وبعدها : ﴿ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (القلم : ٥٠).

الثلاثة فى الغار :

إن تقوى الله والعمل الصالح ، طريق للفرج ، وسبيل للمخرج والنبي - ﷺ - يخبرنا عن قصة آخري في بني إسرائيل فيها هذا المعنى .

ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -، عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : " **بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر ، فأووا إلى غار في جبل ، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل ، فانطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله ، فادعوا الله تعالى بها ، لعل الله يفرجها عنكم ، فقال أحدهم : اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ، وامرأتي ، ولي صبية صغار أرعى عليهم ، فإذا أرحت عليهم ، حلبت ، فبدأت بوالدي ، فسقيتهما قبل بني ، وأنه نأى بي ذات يوم الشجر ، فلم آت حتى أمسيت ، فوجدتهما قد ناما ، فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت بالحلاب، فقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما ، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون عند قدمي ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج لنا منها فرجة ، نرى منها السماء ، ففرج الله منها فرجة ، فرأوا منها السماء ، وقال الآخر : اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء ، وطلبت إليها نفسها ، فأبت حتى آتيها بمائة دينار ، فتعبت حتى جمعت مائة دينار ، فجئتها بها ، فلما وقعت بين رجليها ، قالت : يا عبد الله اتق الله ، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه ، فقمت عنها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج لنا**

منها فرجة ، ففرج لهم ، وقال الآخر : اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز ، فلما قضى عمله قال : أعطني حقي ، فعرضت عليه فرقه فرغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها ، فجاءني فقال : اتق الله ولا تظلمني حقي ، قلت: اذهب إلى تلك البقر ورعائها ، فخذها فقال : اتق الله ولا تستهزئ بي ، فقلت : إني لا أستهزئ بك ، خذ ذلك البقر ورعاءها ، فأخذه فذهب به ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا ما بقي ، ففرج الله ما بقي »[1].

ومن ذلك : ماجاء عند ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة :

عن إسحاق الغزواني ، قال : زحف إلينا أزدمهر عند مدينة الكيرج في ثمانين فيلا، فكادت تنفض الخيول والصفوف ، فكرب لذلك محمد بن القاسم ، فنادى عمران بن النعمان أمير أهل حمص وأمراء الأجناد ، فنهضوا فما استطاعوا ، فلما أعيته الأمور نادى مرارا : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فكف الله -عز وجل- الفيلة بذلك ، وسلط عليها الحر ، فأنضجها ، ففزعت إلى الماء ، فما استطاع سواسها ولا أصحابها حبسها ، وحملت الخيل عند ذلك ، فكان الفتح بإذن الله.

وبهذ ا نأتي على ختام هذا السفر، نسأل المولى -عزوجل -أن ينفع به، وأن يجعل له القبول الحسن، ولا تنساني -أخي الكريم ، وأختي الكريمة- من دعوة صالحة في ظهر الغيب،وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) أخرجه البخاري صحيح البخاري - كتاب الإجارة- باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره - حديث: ٢٢٧٢ و أخرجه مسلم - كتاب الرقاق- باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال - حديث: ٢٧٤٣ .

المراجــع

١- صحيح البخاري .
٢- صحيح مسلم .
٣- سُنن الترمذي .
٤- سُنن النسائي .
٥- سُنن أبي داود .
٦- سُنن ابن ماجة .
٧- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير .
٨- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي .
٩- السلسلة الصحيحة ،للألباني .
١٠- صحيح القصص النبوي ، لعمر سليمان الأشقر .
١١- سير أعلام النبلاء ، للذهبي .
١٢- شرح مسلم ، للنووي .
١٣- أصحاب الرسول ، لأبي عمار المصري .
١٤- العواصم من القواصم، لأبي العز الملكي .
١٥- غيث الصحابة في فضائل الصحابة ، لأبي مالك عدنان المقطري .
١٦- أحكام الجنائز ، للألباني .
١٧- شرح رياض الصالحين ، للعلامة ابن عثيمين .
١٨- تحفة الأحوذي ، للمباركفوري .
١٩- الآداب الشرعية ، لابن مفلح .
٢٠- الجواب الكافي ، لابن القيم .



٢١- تفسير السعدي .
٢٢- صلاح الأمة في علو الهمة ، لسيد عفاني .
٢٣- مجموع الفتاوى ، لابن تيمية .
٢٤- دمعة على التوحيد ، كتاب البيان .
٢٥- اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية .
٢٦- القول المفيد على كتاب التوحيد ، ابن عثيمين .
٢٧- فتح الباري ، لابن حجر .
٢٨- الرحلة في طلب الحديث ، للخطيب البغدادي .
٢٩- إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد، للفوزان .
٣٠- إجابة السائل عن أهم المسائل ، لشيخنا الوادعي - رحمه الله - .
٣١- البداية والنهاية ، لابن كثير .
٣٢- تفسير سورة يوسف ، لشيخنا مصطفى العدوي .
٣٣- الصحيح المسند من فضائل الصحابة لشيخنا العدوي .
٣٤- الوصية الشرعية (أحكامها - أركانها - شروطها) للدكتور:مسلم اليوسف.
٣٥- المُغني، لابن قدامة .
٣٦-صحيح الجامع ، للعلامة الألباني .
٣٧- شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي .
٣٨- شرح لمعة الاعتقاد ، لصالح الفوزان .
٣٩- شرح السُنة للبربهاري .
٤٠- زاد المعاد ، لابن القيم الجوزية .
٤١- فيض القدير ، للمناوي .
٤٢- شرح أحاديث الصيام من بلوغ المرام ، ناظم المسباح .



الفهرس